

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



شعـبة: الفلسفـة

تخصص: فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة العامة

الموسومة بـــ :

مسألة اللاهوت السياسي عند القديس أوغسطين

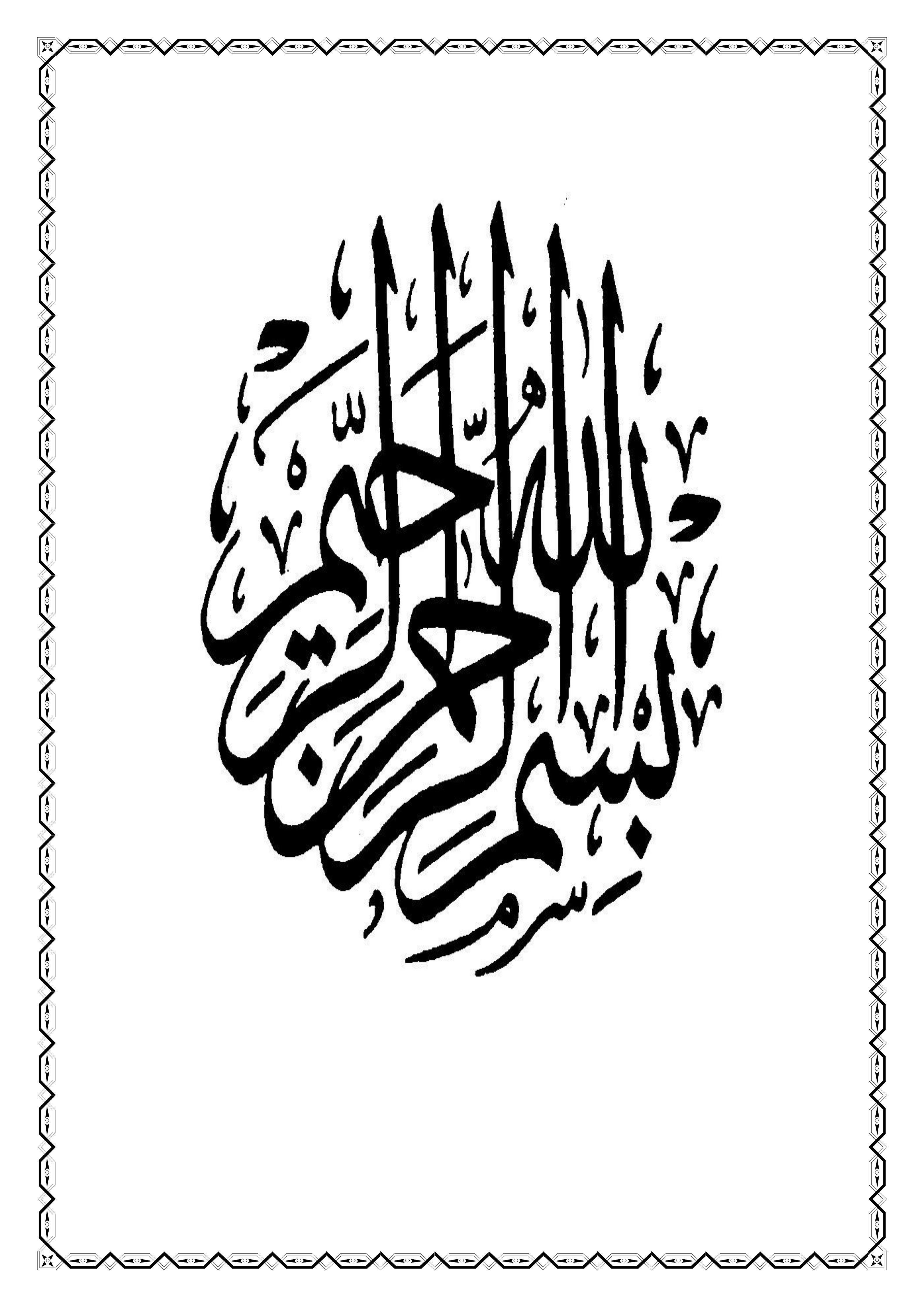
إعداد الطالب:

- رقيق إسماعيل

إشراف الأستاذة:

د- سنوسي فضيلة

السنة الجامعية: 2016 / 2017


بسم الله الرحمن الرحيم

قـبـس:

"إن قانون الإيمان يذكر الكنيسة المقدسة فورا بعد الروح القدس أن نظام اعترافنا السوي يفرض على الكنيسة الخضوع للثالوث كما يخضع البيت لساكنه، والهيكل لله، والمدينة لبانيها وهذه الحقيقة لا يجوز أن تحظى بالقبول فقط لدى هذا القسم من الكنيسة الذي لا يزال على الأرض مسافرا يسبح اسم الرب ... بل يجب أن تحظى بقبول من هم في السماء، متحدين بالله الذي أسس الكنيسة وحماها من كل شر"

القديس أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ص67-68.



اهداء

* اهدي عملي إلى والدي

* إلى إخوتي وأخواتي وكل من يعرفني

* إلى كل أصدقائي في المشوار الدراسي

إلى كل من تمنى لي النجاح دوما

إسماعيل

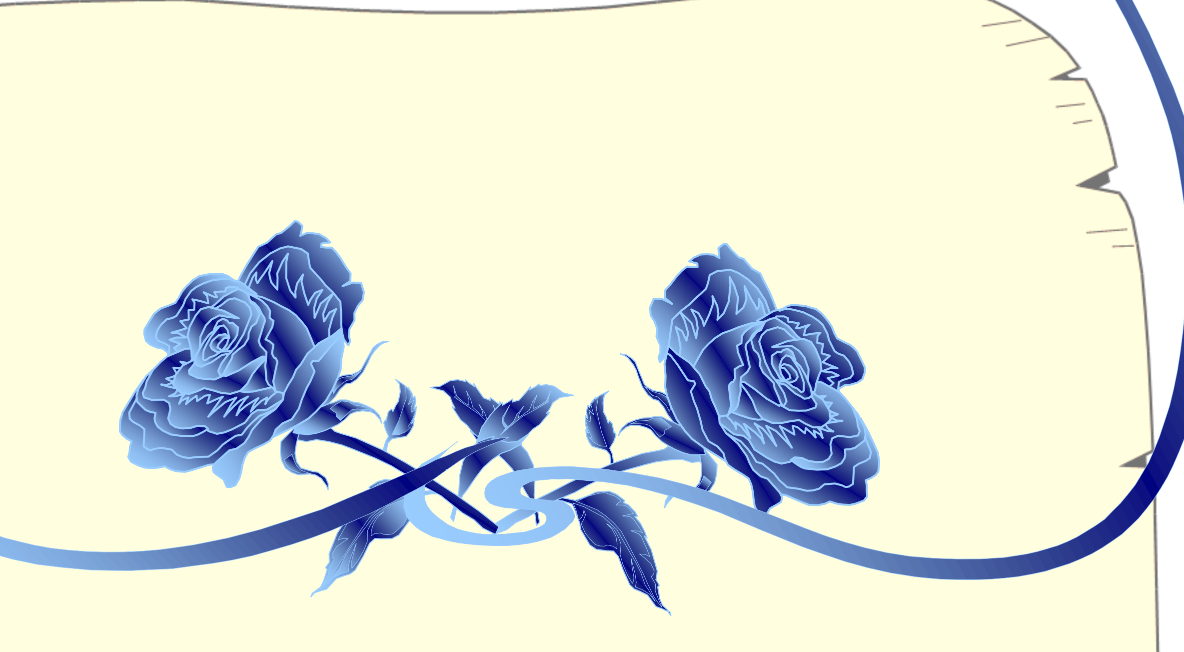
شكر وتقدير

* أحمد الله واشكره

* إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل المتواضع

* إلى الأستاذة المشرفة «سنوسي فضيلة»

إسماعيل



مقدمـــــــــة

عرفت حقبة العصور الوسطى تطورات وتغيرات فكرية عديدة، نذكر منها المجال السياسي الذي لم يكن حديث تلك الساعة ، بل شهد تطورا من قبل في الحضارات الشرقية القديمة ، وقد عرف أزهى أيامه في الحضارة الإغريقية ، أما بعد ذلك فقد ظهرت المسيحية كديانة توحيدية تعلقت هي أيضا بميدان السياسة ، وظهرت عدة منطلقات وبوادر للتغيير الجذري في المجال الفكري السياسي عامة .

الشيء الأكيد أن السياسة الدينية بإختلافها تتولد عنها مفاهيم جديدة متعلقة أساسا بالدين ومعتقداته ، وهذا أيضا ليس بالشيء الغريب، إذ عرف من قبل، أي أن الدين المسيحي غير مفهوم السياسة ، وأعاد صياغة مبادئ في فن تدبير الشعوب وأسنده إلى حيزه الخاص لكنه في بداية مراحله الأولى وجد ركاما من التراث الفلسفي السياسي اليوناني لابد من معالجته وتمحيصه ، والاستفادة منه إن كان يلائم ما يتبناه الدين المسيحي ، فنشأت أولى أزمات الدين المسيحي برفض آراء الوثنين نهائيا على حسب اعتقاد ممثلي دينهم المسيحي آنذاك ، وهناك من قبل تلك الآراء وتزود منها معرفيا، هذه أولى المشاكل التي عرفها الدين وهو عدم توافق الفكر الديني مع الفلسفي ، وثاني أزمة عرفتها المسيحية الصراع بين الموحدين والوثنيين فكان لابد من رد العدوان على الدين بما للدين من حجج وبراهين على صدق عقائده ، ففي هذه المرحلة برز رجال دين من بينهم القديس أوغسطين مدافعا عن دينه بكل ما يملك من فصاحة اللسان ، وبلاغة المعنى الخطابي الموجه لأعداء دينه.

كان عليه لزاما أن يدافع عن الدين ويرد كيد الوثنيين ، إضافة إلى ذلك إيجاد حلول عملية لدفع تلك الآراء التي صدعت جدار المسيحية بقوى سلطوية ، ففتح أوغسطين لنفسه باب السياسة وحاول إعادة الاعتبار للمسيحية بعد التوترات التي عرفتها ، واستند بذلك على مرتكزات الدين المسيحي وهي شروحات الكتاب المقدس ، واللاهوت الذي من خلاله استمد أفكارا أعانته في تحديد مجال السلطة ، ومعظم العقائد التي عرفها عن الدين حاول بها رد العدوان على دينه المسيحي .

أما طبيعة فلسفته السياسية فهي خاضعة كغيره لجميع الظروف التي عايشها ، والتي أثرت فيه بشكل كبير فقد عرف منذ صغره عدة فلسفات ، وأفكار دينية تعتمد أساسا إما على مبادئ أسطورية آو عقلية مقبولة ، كلها كان لها أثرها البالغ في فكره السياسي ، ولكنها تشترك في نقطة مهمة أنها أكسبته الطبيعة الجدلية وغيرت حياته كليا ، وساعدته فيما بعد على أن يجمع بين الفلسفة والسياسة والرهبنة.

أما هذا البحث المتعلق بمسألة اللاهوت المسيحي عند القديس أوغسطين عنوانه دلالة على ترابط الدين مع السياسة في فكر أوغسطين في مرحلة من حياته ، وبذلك سنحاول توضيح مدى صحة هذه الفكرة، من خلال البحث في تراث أوغسطين الفكري وما نعرفه عن الديانة المسيحية وعلاقتها بالسلطة السياسة .

اللاهوت متعارف على أنه علم يقصد به معرفة الله وصفاته ، وطبيعة خلقه ومخلوقاته وعنايته بها ، والإنسان ضمن تلك المخلوقات التي ترعاها عناية الله ، وقد أمده بسبل الحفاظ

على نفسه وعلى من يحيط به ، ومجال السياسة تدبير شؤون الإنسان المتعلقة به من أمن وحرية الاعتقاد ، وسعادة ونظام داخل المجتمع ، فالقديس أوغسطين لما عرف السياسة كان قصده بذلك حماية الدين المسيحي الذي هو أهم معتقد آمن به أبناء جلدته ، وهذا مقصد شرعي لابد من الحفاظ عليه ، فاستعمل السياسة الدينية كطريقة لدحض تلك الأضرار التي مست المعتقدات المسيحية وعلى هذا أساس استطاع أوغسطين رد الأباطيل عن الدين المسيحي وزيادة سلطته المعنوية ، ذلك يجعلنا نطرح إشكالا مهما : كيف استطاع أوغسطين أن يوفق بين اللاهوت المسيحي والسياسة ؟ وما هي المبررات الذي استند إليها من خلال اللاهوت المسيحي؟ وهل اللاهوت السياسي الأوغسطيني كان له تأثير على الفكر الغربي فيما بعد؟

لتناول هذه الإشكالية اعتمدنا على مناهج تكون لنا سندا في ضبط الموضوع ، وتحديد الغاية من طرح هذه الإشكالية المتعلقة باللاهوت المسيحي عند القديس أوغسطين ، طبيعة الموضوع فرضت علينا عدة مناهج هي على النحو التالي:

1- **المنهج التاريخي**: استخدم لعرض بعض الحقائق التاريخية ، والذي بفضله تعرفنا على عدة مؤشرات تخص الديانة المسيحية ، بما لديها من مواضيع خدمت بحثنا ، فقد استندنا إليه في الفصل الأول لتوضيح عدة مواقف تخدم الفصل الثاني ، بمعنى أننا بحثنا في جملة المحاور التي بها نستطيع فهم إشكالية الفصل الثاني.

أما في الفصل الثاني فاستخدامنا للمنهج التاريخي كان لقصد معرفة النموذج، وأهم أفكاره المعرفية، ومدى تطابق فلسفته مع طبيعة الموضوع.

2- **المنهج التحليلي النقدي**: الذي اعتمدنا عليه في توضيح جل المفاهيم التي طرحت والتي لابد من توضيحها لطبيعة غموضها ، وتماشيا مع المتلقي لها ، أما استعمالنا للنقد فكان في الفصل الأول لما صعب علينا التعامل بموضوعية في توضيح مبادئ خاصة بسياسة الدين المسيحي فاعتمدنا على النقد الفكري الإسلامي (كتابات المسلمين التي تناولت علم الأديان) ومرة على النقد المسيحي بحد ذاته، والهدف من ذلك هو إيضاح أسباب مواقف كانت قد ظهرت في العصور الحديثة ، والتي لا نستطيع أن نخالفها لأن التاريخ شهد عليها أما الفصل الثاني فتحليلنا له كان عرضا بعيدا عن النقد إلا في مواقف انتقد فيها فكر أوغسطين ، ولم نخض فيها كثيرا بل اكتفينا بتحليل أفكاره الفلسفية والدينية تماشيا مع الغرض من البحث، ولمعرفة سبل إيجاد عرض مبسط لإشكاليتنا المراد البحث فيها.

بحثنا كان عبارة عن فصلين الفصل الأول يمهد للفصل الثاني ، وكل مبحث في الفصل الأول يخدم مباحث الفصل الثاني ، وضبطنا لمحاور البحث كان تماشيا مع ما يستلزم معرفتنا للنموذج ألا وهو " القديس أوغسطين" وقد حاولنا قد المستطاع ضبط ذلك ، وتناولنا في الفصل الأول المعنون "بالدين المسيحي والسياسة" وفيه حددنا العلاقة بينهما ، بمعرفة مرتكزات كل واحد على حدى ، وكان على النحو التالي:

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (اللاهوت ، السياسة) كان الهدف في هذا المبحث معرفة المعاني المدرجة تحت هذين المفهومين وكرونولوجيتهما التي بها نستطيع ضبط ما يلي من مفاهيم متعلقة بهما خصوصا .

المبحث الثاني: علم اللاهوت المسيحي تناولنا فيه طبيعة هذا العلم ، وأهم ما يمتاز به وأهم تقسيماته التي خدمت الجانب الديني السياسي، وعلاقته مع العقائد والإيمان المسيحي اللذان هما أساس في ذلك.

المبحث الثالث: السلطة والدين المسيحي (الجوهر والأثر) تعرفنا فيه على سياسة الكنيسة المسيحية لأنها تمثل السلطة الشرعية آنذاك، وحددنا فيها طبيعة تلك السلطة.

أما الفصل الثاني والذي عنوانه "أوغسطين واللاهوت السياسي" وفيه تطرقنا إلى شخصية هذا الفيلسوف والقديس المسيحي بتحفظ كامل ، إذ رجعنا إلى أهم مصادره الفكرية وحاولنا قدر المستطاع معرفته من خلال كتب الفكر السياسي لضبط البحث وفيه حددنا مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: أوغسطين حياته الفكرية ومرجعياته الدينية ، في هذا المبحث تعرفنا بشكل معمق في شخصية هذا الفيلسوف ، لأن حياته صنعت له فكره ، ولا نستطيع أن نعرف معالم فكره إذ لم نرجع إلى الظروف التي جعلته على ما عرف به.

المبحث الثاني: أوغسطين الفلسفة واللاهوت حاولنا فيه معرفته فلسفته الخاصة، وإدراك المفاهيم التي توصل إليها أوغسطين الخاصة باللاهوت ، وطريقة استخدامه لهذا العلم في الدفاع عن دينه المسيحي.

المبحث الثالث: التأصيل السياسي الأغوسطيني فيه تعرفنا على طبيعة تعامل أوغسطين مع سياسة عصره ، وموقفه الخاص من هذا المجال ، وكيف حقق العلاقة بين الدين والسياسة في الواقع ؟ وفي آخر هذا المبحث تطرقنا إلى أهم القراءات والتأويلات التي عرفها فكره من بعده والأثر التي تركته فلسفته من بعده.

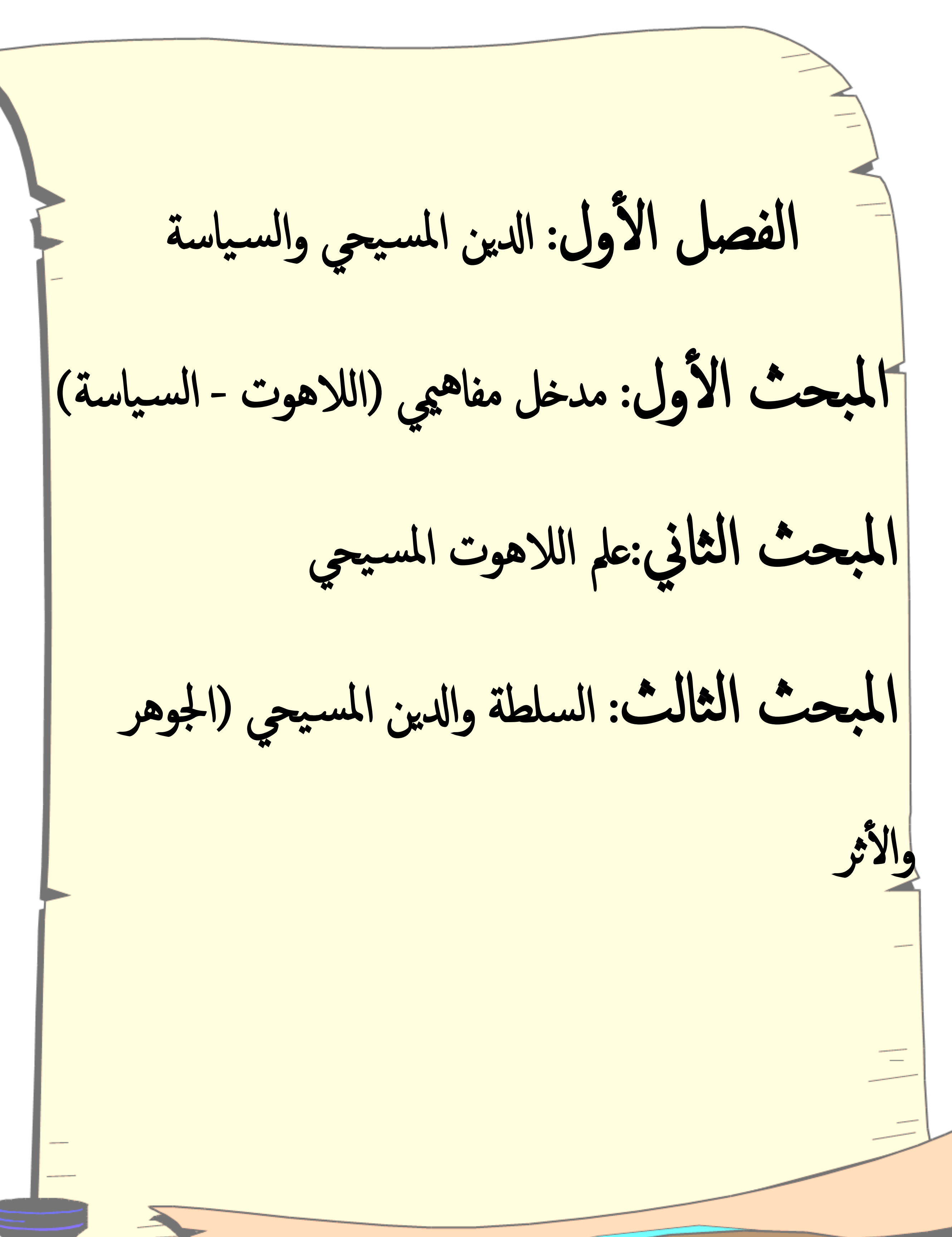
جملة الدراسات السابقة التي اعتمدنا عليها كانت موجهة للسياسة الأوغسطينية ، والتي من بينها مقالات في مجلات محكمة ومذكرات تخرج ، لكنها لم تستفض في الجانب الروحي الديني لأوغسطين فكان هدفنا من هذا البحث:

- التعرف على الشخصية الدينية السياسية لأوغسطين ، أي معرفة فكره الديني المسيحي الذي جعله يؤسس لنظريات سياسية .

- البحث في معالم الدين المسيحي ولو سطحيا لأنها تعكس اليوم ولو القليل من السياسة الواقعية.

- معرفة تأثير اللاهوت السياسي الأوغسطيني على الفكر الفلسفي السياسي.

هذه جملة الأهداف التي جعلتنا نبحث في هذا المجال، أما الصعوبات التي عرفناها في مسيرتنا البحثية هي صعوبة التعامل مع الموضوع بالطرح الموضوعي.



الفصل الأول: الدين المسيحي والسياسة

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (اللاهوت - السياسة)

المبحث الثاني:علم اللاهوت المسيحي

المبحث الثالث: السلطة والدين المسيحي (الجوهر والأثر

عمل الدين المسيحي على إرساء معالمه وعقائده، ضمن المجتمع ، التي وصلتها الدعوة المسيحية ، بكل الوسائل المتاحة من ممارسات وطقوس وتبشير ، وبذلك عمد على تفعيل الحركة الفكرية في الوسط الكنسي الذي يعد المرجعية الأولى للمسيحية ، واستطاع أن يخلق توافقا بين أطراف السلطة الرومانية والعاملين على خدمة الدين من لاهوتيين وقديسين وغيرهم.

جملة العقائد والممارسات والطقوس التي عمد إليها رجال الدين آنذاك جسدت إما العلاقة الروحية بين المتدين وربه وهذه عرف بها الدين المسيحي عند بداياته الأولى ، وإما خلاص الإنسان من الخطيئة التي استحدثت فيما بعد ، وهذه الجزئية غيرت مسار تاريخ الفكر المسيحي ، حيث استند الكثيرون إلى مثل هذه الأفكار الميتافيزيقية ، التي عدت في العصر الوسيط عقائد مقدسة لا يمكن التخلي عنها بل إنها استغلت وتم الاستعانة بها في أهم المواقف السياسية التي عرفت من بعد، والتي مارسها رجال الدين والقياصرة الحكام، وتم بفضل ذلك إيجاد سبل إحكام السيطرة على المجتمع المسيحي، فهل الفلسفة المسيحية مرجعها الأول عقائدها المستوحاة من اللاهوت المسيحي؟ وهل سياستها الدينية لها ما يبررها على ارض الواقع؟ أم هي سيطرة سلطوية استعملت لغرض خاصة نفعية بآباء الكنيسة والحكام؟

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي (اللاهوت، السياسة)

1- مفهوم اللاهوت:

أصل كلمة **لاهوت** من أصل سرياني فهو بالسريانية "لاهوتا" واستخدام الكلمة السريانية يعني انتماء الكلمة إلى التراث المسيحي السامي الشرقي ، ولكنها عرفت من قبل عند اليونانيين بمعنى الكلام أو الحديث عن معرفة الله، "ثم دخلت إلى اللاتينية ثم إلى الانجليزية التي عرفت بثيثولوجيا "علم اللاهوت" وهو الإنسان الذي يتحدث عن الله"[1]، وهو اللاهوتي وهناك اختلاف في كلمة الثيثولوجيا بين آباء الكنيسة ، وفلاسفة اليونان فآباء الكنيسة يرونها أنها الكلام عن الله الموحد ، أما الفلاسفة ينادون الشاعر والفنان وخادم الآلهة باللاهوتي.

ويعرف آباء الكنيسة علم اللاهوت "على أنه "**علم يبحث فيه عن الله جل شأنه من حيث وجوده وصفاته وتوحيد جوهره، وتثليث أقانيمه* وأعمال عنايته، وهو يبحث في سائر التعاليم والعقائد الإيمانية المعلنة في كتابه الذي هو مصدر وينبوع هذا العلم السامي المجيد**" [2]، وتغير المعنى فيما بعد"هو العلم الذي يبحث عن حقائق الكتاب المقدس وتعاليمه وتنظيمها ومعرفة أصولها، والتعاليم المتفرعة منها، وهو أيضا العلم الذي يظهر تعاليم الكتاب المقدس بنظامها وعلاقاتها الداخلية الروحية، ويستنتج منها فوائد أخلاقية دينية وقد

---

[1] – جورج حبيب بيباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي ، موقع الدراسات القبطية الأرثوذكسية،(د.ط)، مصر،2008م ، ص 36 .

* – الاقنوم: (Hypostase) هي الأصل أو الجوهر والاقانيم الثلاث عند المسيحيين الأب والابن والروح القدس ، وهو اتحاد الطبيعة الإلهية في واحد وأول من أطلق هذا المفهوم هو أفلوطين. ينظر : (جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني (د.ط) ، 1982 م، ص 112).

[2] – ميخائيل مينا : علم اللاهوت ، المجلد1 ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية، (د.ط) بالقاهرة ، ص18 .

عرف علم اللاهوت بـ" **تعليم ما لله ومرشد النفس إليه**".[1] أي بمعنى تعليم الناس ما لله من صفات تجعله يثبت بها كيانه ، ويستطيع من خلالها المؤمن به أن يزداد إيمانه.

وعرف اللاهوت في المعاجم بأنه هو الخالق " **هو العلم الذي يبحث في الله وصفاته وعلاقته بالعالم والإنسان**"[2]، وهو أيضا علم الله وهو نسق من المعتقدات الإيمانية في دين معين ، ويقوم اللاهوت المسيحي على أساس"الإنجيل وشروحاته ومراسيم المجالس المسكونية"[3] والتي تطرح فيها آراء القديسين ويناقشون في اجتماعهم قضايا متعلقة بالأسفار المقدسة ، ومنه توضع العقائد والأخلاق والعبادات .

وعرف **لالاند** اندريه (André Laaland) (1876-1963م) علم اللاهوت "**بعلم الله وصلته بالعالم وبالإنسان**"[4] ، وسمي علم اللاهوت بعلم لا معرفة ، لأن العلم يدرك الكليات أو المركبات والمعرفة إدراك للمفردات والقضايا البسيطة ، وعلم اللاهوت يتعرف على العقائد الدينية وما بينها من العلاقات حتى يستلزم التسليم بواحدة من تلك العقائد الدينية.

عندما نربط اللاهوت بالمسيحية هذا يجعلنا نصدر حكما أن اللاهوت لم يكن من قبل كممارسة أو عقيدة ، أو مذهب ، ولكننا نجد أحيانا أمورا عقائدية في اللاهوت المسيحي في الأصل كانت موجودة في القدم في ديانات أخرى ، أو حتى من بعد الديانة المسيحية ولذلك يمكننا القول أن اللاهوت ليس بالضرورة للمسيحية فقط ، بل هذا اتفاق يستطيع ضم

---

[1]– جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي ، ترجمة منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية ، (د.ط) ، القاهرة ، ص 20 .

[2] – جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 288.

[3] – روزنتال يودين وآخرون: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (د.ط)، بيروت، ص407.

[4] – لالاند اندريه: موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد1، تعريب خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، ط2 ، بيروت، 2001 م، ص 1450 .

الاختلاف في ثناياه ، ونقول أنه لا يمكننا أن نصل إلى تعريف جامع مطلق على اللاهوت المسيحي .

نستطيع القول أنه ليس هناك تعريف موحد خاص بالديانة المسيحية ، فمثلا نجد علم الكلام عند المسلمين فهو نسق مثله مثل لاهوت المسيحيين في تركيبته العقائدية والوظيفية ولكن الاختلاف في طريقة معرفة الله وصفاته .

عند إرجاع فكرة اللاهوت إلى المعنى العملي ، فإنه هو الأساس في تعلم الديانة المسيحية ، أو هو معلم المبادئ الأولى ، فلابد للمسيحي أن يعرف اللاهوت من خلال الإيمان بالله الواحد الخالق كل شيء ، وباليسوع المسيح ابن الله الوحيد ، "والروح القدس وان السيد المسيح صلب وقام في اليوم الثالث من بين الأموات"[1] ، وصعد إلى السماء ، وهو إلى جانب الرب يمينا ، "وأن تؤمن بالكنيسة وقدسيتها وسلطتها الروحية ، وبشركة القديسين وبغفران الذنوب وبقيامة الأجساد والحياة الأبدية" .[2] وبذلك يصح تعريف اللاهوت المسيحي من خلال هذه المبادئ كلها العامة ، وبذلك ارتبط اللاهوت بالمسيحية ونستطيع أن نميزه عن غيره ، واختلاف طوائف المسيحية ليس في هذه المبادئ بل في جزئيات حقائقها واصلها وطريقة ممارستها ، فهم متفقون على نبوة المسيح وحقيقة الإيمان بالله ومتفقون على الاختلاف فيما بينهم ، وهو لا يمس قداسة معتقداتهم بل يزيدهم إيمانا على إيمان ويحثهم

[1] – *Ernest Renan , vie de jésus , Michel Lévy Frères, libraires-éditeurs 9, Paris , 1863, page 262.*

[2] – *htt://arabicthirdmill.org*

الدرس الثاني (محاضرة ورقية) استكشاف اللاهوت المسيحي ترجمة البستاني – قانديايك خدمات الألفية الثالثة تعليم كتابي للعالم ص- ص1-3

على البحث في حقائق الاختلاف فيما بينهم ، ولكن أحيانا يحذر المسيحيون من مساس تلك المقدسات وإدخال عليه الهرطقات بسبب التطرف ، ولابد للاهوتي المرخص له أن يدافع عن الدين وأن يرد تلك الأباطيل ،وان يرسخ في قلوب هؤلاء حقيقة الإيمان.

المسيح النبي بادر فيها إلى التحاور مع غير المؤمنين برسالته من قومه وحاول إرجاعهم إلى الحق وبعد ذلك واصل تلامذته من بعده مبادئه اللاهوتية ، وأبطلوا البدع والهرطقات التي شابت معتقدات الدين المسيحي ، وحاولوا أيضا الجمع بين الممارسات اللاهوتية والأفكار التي شتت المسيحيين ، فمنهم من رأى أن الدين الحق في الممارسات والصلوات والدعاء ومنهم من رأى في العقيدة والإيمان ، ومنهم من رأى العاطفة والروح الإنسانية سبيل إلى رحمة الرب والخلاص ، وكل هذه المواقف عالجها اللاهوت التي استطاع أن يدرك حقائقها ويؤسس لنفسه علما سمي **بعلم اللاهوت المسيحي** .

2- مفهوم السياسة :

السياسة هي القانون الذي يوضع من "اجل الرعاية العامة لمصالح الرعية "[1]، وهي ضرورة وحاجة اجتماعية لأنها تنقل حياة البشر من الفوضى وانعدام الاستقرار، إلى حياة أرقى يسودها النظام والتعاون في تسيير أمور الحياة ، وقد عرفت ايضا" ما كان به الناس اقرب إلى الصلاح، وابعد عن الفساد"[2] وهذا التعريف يحمل المعنى الشامل الأقرب إلى

[1] – M. Rosentahl et P. Ioudine , Petit dictionnaire Philosophique , à l'édition abrégée du texte russe publié par les Editions politiques d'Etat , (Moscou, 1955) Page 214.

[2]– محمد وقيع الله احمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية رؤية إسلامية ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق، 2010 م، ص. ص19-21

حاجة البشر للصلاح وقيم الفضيلة ، كذلك السياسة تنظم أمور الدولة وتساعد على تدبير شؤونها وتتبع في ذلك النهج الشرعي أو المدني وإذا كانت شرعية تكون مستمدة من الدين وإذا كانت مدنية كانت قسما من الحكمة العملية، وهي الحكمة السياسية التي تنتهج في ذلك قوانين ودساتير تضبط فيها التعاملات بين أفراد المجتمعات.

2- كرونولوجية المفاهيم:

الأمر الذي لابد أن نتفق عليه أن لفظ اللاهوت استعمل في الديانة المسيحية فقط، ولكن البحث في ذات الله وصفاته كان من قبل عند فلاسفة ومفكري العصور السابقة منهم:

تطور الفكر اللاهوتي:

- ✓ المعرفة الإلهية عند اليونان (أفلاطون نموذجا):

تصورات أفلاطون (Platon) (427ق.م – 347 ق.م) اللاهوتية تعرف بمفهوم مثال الخير أو الصانع الأول وقد عرفه على أنه " العقل الذي رتب الكل وهو علة الأشياء جميعا"[1] أي أنه عرف الله من خلال مبدأ العلة والمعلول ومبدأ الحركة والنظام وتلك براهين على وجود الله ، ومبدأ الحركة الذي هو احد البراهين المستمدة من طبيعة التغير في الكون أما النظام فهو الجمال وتوافق الأشياء في الكون ويسيرها وفق نظام محدود ، وذلك بفضل توافق العلل التي تسيرها العلة الأولى ومرات نجده يقول عن الله مثال الخير الذي يرتب الكون حسب إرادته، وفي وصفه لله وارتباطه مع الخير يرى أن العلة الحقة عاقلة، والعاقل

---

[1]-يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، (د.ط) ، بمصر ، 2012م ، ص 99 .

يتوخى الخير بالضرورة إذن " الله روح عاقل محرك منظم جميل خير عادل كامل بسيط لا تنوع فيه ثابت لا يتغير ، صادق لا يكذب ولا يشكل أشكالا مختلفة " [1] بمعنى أنه يحمل كل صفات الكمال العليا ، ولا يحدد بصفة جسمية ولا يحده أي حد مادي ، وعلمه أعلى من علم الإنسان ، وعنايته شاملة على كل المخلوقات.

تكلم أفلاطون عن كل ما ينكر الله وعنايته ، أو ينكر كماله وعدالته ، وكل من هؤلاء تعد بدعا يجب ردعها والمعاقبة عليها قانونيا ، وأفلاطون شدد على سخطه من ينكر كمال الله وعدالته ، ورأى أن من ينكر عنايته يستطيع الحكيم إرشاده إليهما بكل بساطة ولكن الصفات الجوهرية التي يمتلكها الله لا يمكن أبدا إنكارها .

الشيء الأكيد أن أفلاطون لم يصل إلى فكرة الإله الواحد المتعارف عليه في الديانات التوحيدية ، بل رأى أنه يوجد آلهة تابعة للصانع الأول يساعدهم ويساعدونه في عمله والشيء المتعارف عليه أن اليونان كانوا يؤمنون بأن حتى البشر من منهم له قدرة الآلهة أو أنصاف الآلهة ، والشيء الذي آمن به أفلاطون من كل هذا أن تعدد الآلهة يضمن الخير والتعقل ، ومرات نجده يعرف الله على أنه الخير الأمثل " فإذا أراد الإنسان أن يكون فاضلا فعليه أن يتشبه بالإله لأنه مثال الخير"[2]ومرات يرى أنه مقياس جميع الأشياء ، والذين يتشبهون به إنما يتشبهون بذلك المقياس فحسب، وبذلك نقول أنه شابه سقراط (Socrate) (469ق.م – 399 ق.م) في هذا الأمر حيث استند إلى فلسفته الأخلاقية.

1– المرجع السابق ، ص 101.

2– احمد فؤاد الاهواني : أفلاطون ، دار المعارف ، ط4 ، بالقاهرة ، (د.س) ، ص.ص 125 – 126 .

عندما تكلم عن الإله رأى أنه يملك صفة القدرة الكاملة وهو عالم بكل شيء " والإحاطة بكل شيء ، وقد أودع في الإنسان النفس ، وبث في النفس العقل الذي يميز بين الحسن والقبيح ، وعلى الإنسان أن يحكم عقله ويؤثر السداد "[1] أي أن قدرة الله لا تزال تعين الإنسان بعد خلقه له ، وعنايته الكاملة في منحه العقل ليختار بين الصالح والفاسد ، ولكن قدرة البشر لا يمكن أن تبلغ العدل المطلق ، ولا الخير المحض لأنه مكون من جسم ونفس ، وطبيعة الجسم غير خالدة تكون مصدر شر ، وعن علاقة العالم مع الله هي علاقة متعالية بمعنى أن الله أسمى من العالم على خلاف ما أتى به **بارميندس**(Parménides)(540 ق.م- 480 ق.م) الذي رأى أن العالم هو الله وأفلاطون رأى أن العالم ليس هو الله بل هو إلهي والله منفرد بذاته .

أما فيما يخص معنى **الصانع** الذي قصده أفلاطون **الله** ، فالمعنى الظاهر للفظ الصانع قد يكون الفنان ، أو النحات الذي يصور أي مادة شيئا ما بشكل مجسم ،" فالله اخذ كتلة العالم حيث كانت فوضى فبث فيها النظام وذلك أجمل ما في العالم ، وجعله مرئيا وأودع فيه النفس فأصبح العالم بقضاء الله حيا عاقلا"[2] وتلك مقدرة الصانع كما رآها أفلاطون وصفات الله موجودة في جميع محاوراته (فهو العظيم الموجود ، أصل وأب جميع الآلهة خير مريد ، الخالق الصانع ، إنه اشرف علة) ، ومعرفته واجبة بالعقل والبحث الجدلي إلى أن يصل إلى فكرة مفادها أن الله هو الخير الأسمى .

---

[1]- المرجع نفسه: ص 128.

[2]- المرجع السابق ، ص 130.

✓ <u>المعرفة الإلهية في مدرسة الإسكندرية (أفلوطين نموذجا):</u>

يرى أفلوطين(Plotin) (205م–270م) أن العالم صادر عن الواحد أو الله ، وهو الحامل لجميع الصفات المتكاملة كما هو معروف منها اللاتناهي ، والأول المعقول ، وهو الخير والوحدانية ، وطبيعة فكر أفلوطين مختلفة عن سابقيه فهو يسعى دائما على أعلاء صفة الوحدة على الأول ، كما يعتقد حيث يقول أفلوطين :" **إنه يشتمل على الخالدات كلها والروح كله والربوبية كلها ، والنفس كلها ، وهو مع كل هذا في اطمئنان مستديم** "[1] وكل هذه الصفات بينها في ظل تصورات ميتاقيزيقية تستحق التمعن أكثر فأكثر .

أضاف إلى ذلك مخالفا سابقيه ورأيهم عن معنى الألوهية حيث رأى أنه "حل محل مثال الخير ومثال الجمال ، والصانع الذي ينطبق عليه من باب أولى ، إنه ليس بماهية وإنما هو شيء أسمى من الماهية لا يوصف أو لا يوصف إلا سلبا "[2]

بمعنى أنه لا يمكن أن يدرك بما لي للإنسان من قدرات حسية وعقلية ، وهو بعيد عن كل تصور يمثل تعدد قدرته إذ يرى " أن الواحد يفوق العقل ويسمو عليه كلية فالجوهر والوجود والحياة لا يمكن إسنادها إلى الواحد ، لأنها كثرة وتعدد وان هذا يتنافى مع طبيعة الواحد غير القابلة للانقسام والتعدد "[3] بمعنى أن طبيعة الواحد لا يمكن أن تقبل الانقسام ولا الإمتداد وهو قديم قبل سائر كل الموجودات ، وغير قابل للقياس الكمي ، أي لا يمكن أن

1– أفلوطين : التاسوعات ، ترجمة فريد جبر ، مراجعة جيرار جهامي و سميح دغيم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، بيروت 1997 م ص 428.

2– حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية، دار العلوم العربية ، ط1،لبنان ، 1992 م، ص 147.

3– يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ، ص 290.

نقول عنه مقداره كذا أو كذا ، لأن هذا يتنافى مع اللاتناهي ، ولا يمكن أيضا أن نصف الله على أي نحو ، فإذا فعلنا ذلك ووصفناه فذلك تحديد له بحقيقة جزئية ، وهذا غير مقبول ، وان الله وراء كل هذا ، ولا نستطيع وصفه وتحديده .

ينعت الله على حسب أفلوطين أنه أكثر من الخير ، وهذا أيضا دليل على أن الله لا يمكن وصفه بالقدير أو المقتدر لأن القدرة معلومة عند البشر وهذا يتعارض مع طبيعة الخالق ، ولا يمكن أيضا وصف الله بالموجود لأن الوجود متأثر أي خاضع للفعل والانفعال وكل من هو خاضع لتلك الثنائية الأخيرة هو متغير" والله ثابت لا يتغير بحال من الأحوال الخاصة ، إذن واحد وحدة لا تنقسم ، كما أنه ثابت ثبوت غير قابل للتغير كما أنه أزلي ابدي ساكن ثابت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل وانه مطابق لذاته ، إنه فوق الفكر والوجود "[1] هذا ما عنى به الصفات السلبية التي قصد بها أفلوطين ، إضافة إلى أنه عرف باللاتناهي، والواحد الخير ، وأنه فوق كل تحديد وتعريف ، وهنا يمكننا القول أن هذا ما سمي" باللاهوت السلبي والذي معناه النفي النقدي لكل أنواع الإيجاب المختصة بالله "[2] وهذا يأخذنا بالقول أن الله هو أعلى من كل شيء وهو علة كل معلول .

كيفية خلق الأشياء جميعا يرى أفلوطين إنها صادرة من الله ، أي صدرت الكثرة من الوحدة والمتحرك من الثابت ، وهذه فكرة استمدها أفلوطين من **الغنوصية*** التي عرفت انتشارا في زمنه ، ولكن صدور الغنوصية ليس كصدور أفلوطين ، أي الغنوصية لم تبين

---

[1]- حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية ، مرجع سابق ، ص 150.

[2]- المرجع نفسه، ص 150 .

طريقة الصدور ، بل اعتمدت في ذلك على الأسطورة والغموض ، " إذ شبهوا الصدور بعملية الولادة ، ويتحدثون عنه بتعابير مطابقة لولادة البشر ، ولكن أفلوطين تفوق عليهم فقد استطاع أن يبن بدقة صدور الموجودات عن الأول بطريق مثالية " [1]

إنه بين طريقة فيض الموجودات عن الواحد فرأى أنها تصدر عن الأول بفعل غير إرادي نتيجة الوفرة المتحققة فيه ، وإضافة إلى ذلك الفيض ليس نقصان بما في الأول من زيادة فيه ، بل يبقى الأول على ما هو عليه لأنه لا يتغير ولا يتحرك ، وهو على أفضل حال حيث قال أفلوطين " لماذا يطلب تغيرا وهو على أحسن حال ؟ والى أين ينتقل ويتحرك مادام كل شيء لديه ؟ بل انه لا يطلب مزيدا لأنه في غاية التمام والكمال" [2]وفيض الموجودات لا يؤثر فيه بتاتا ، " إنما يبذل أثاره وبذل الأثر غير بذل الجوهر وهذا معروف في عالم المعقول ، حيث يحدث المعقول أثره دون أن يترتب على ذلك أي نقصان في ذاته "[3] فمثلا انتقال الصفات الأثرية من إنسان إلى إنسان أخر مثل تلقين العلوم ، فنقول ذلك اخذ العلم عن فلان دون أن يتغير المعلم ، أو يفقد شيئا من ما يمتلك ، هذا ما قصده أفلوطين من نظريته " نظرية الفيض" ، فالسماء تتأثر من الأول وتستجيب له دون أن يتحرك أو يتغير ، وهكذا ففيض الوجود مطابق لهذا المعنى .

* – الغنوصية : ظهرت هذه الفرقة في السامرة ثم في الإسكندرية حاولت الخلط بين العقائد المسيحية والوثنية فسرت بها نشوء العالم وانبثاقه من الله ظهرت مع ظهور المسيحية ، من روادها فاليتنوس ، ومرقيون (مصطفى النشار ، مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية ، دار المعارف ، ط1 ، بالقاهرة ، 1995 م ، ص81 .) .

[1]– محمد عبد الرحمان مرحبا : مع الفلسفة اليونانية ، منشورات عويدات ، ط3 ، بيروت ، 1988 م ، ص234.

[2]–أفلوطين : التاسوعات ، المرجع السابق ، ص428.

[3]– محمد عبد الرحمان مرحبا : مع الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ، ص 235 .

يعتقد أفلوطين أن أول شيء انبثق عن الأول هو العقل ويقال له الأقنوم الثاني ، والعقل أدنى من الأول ، واقل منه كمالا ، ويقصد بالعقل أيضا الوجود كاملا ، والسبب لذلك أن العقل بحاجة إلى شيء يعقله فصدر منه الوجود ، ويسمى لوحده الأقنوم الثاني الصادر عن الأول والعقل عنده هو صانع العالم " ويقرر ماهية وجوده بحكم القدرة المستمدة من الأول وهو يدرك ماهيته وان قوته كامنة في الأول ، وأن وجوده يكتب كماله بفضل الموجود الأول و يتلقاه منه "[1] بمعنى أن جميع قدرات العقل تنبثق انبثاقا فائضا من الأول ، وبذلك أيضا تستمر حلقة الفيض بصدور النفس التي تعد مبدأ الحياة والحركة في الكون وهي صورة العقل " إنها رسول العقل المنفصل عنه ظاهريا" [2] أي كيانه المحسوس في العالم الواقعي .

نجد مرات اختلاف في المفهوم فيما يخص العقل إذ نجده "اللوغوس" وسبب فيض الأخير عن الأول هو بقاءه وحيدا فكان لابد من أن يشع منه نور ينتشر يسمى عقلا دون أن ينقص منه أي شيء ، فكان له المرافق الأبدي ، أما النفس هي آخر حلقة في الهرم الذي رأسه الواحد وهو مبدأ كل الأشياء ثم العقل الكلي ، ثم النفس الكلية التي تصدر منها النفوس الجزئية وتحل في أجساد البشر ، ويعد ذلك ضرورة وينتج عنه الانقسام بعدما عرفت عدم الإنقسام من الأول ، بمعنى أنها تملك الصفة الجوهرية والمكتسبة من الأول، وهي عدم الانقسام ولكن حلولها في الجسد فرض عليها الإنقسام ، وأيضا تعد همزة اتصال بين العالم

---

[1]– ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس 585.ق.م الى افلوطين 270 م وبرقلس 485 م ، دار العلم للملايين ، ط1 بلبنان ، 1991 م، ص 194.

[2]– حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية ، المرجع السابق ، ص 154.

المعقول والعالم المحسوس ، ولكي نوضح أكثر" النفس لم تكن منقسمة وهي تحيا في العالم المعقول ولا حينما هبطت إلى الأبدان في العالم المحسوس، فإنها تصبح قابلة للانقسام إلى جانب كونها غير منقسمة"[1] والمعروف أن النفس الكلية لا تعرف الانقسام أبدا ولا تملك أبدان لتعيش فيها لقول أفلوطين " النفوس في العالم الروحاني ليس لهن أبدان " [2] لأنها تعيش في العالم الروحاني والنفس الكلية كامنة في الجزئية التي تكون دائما معرفته للاضطراب والتردد بسبب اندماجها مع الجسد ، وهي تسعى للخلاص منه .

الأقانيم الثلاثة التي تكلم عنها أفلوطين على نحو متكامل مع بعضها البعض وكل منهم يصدر عن الأول حيث قال أفلوطين " **الواحد إنما هو ما وراء الحق نحو ما أردنا أن ندل عليه في كلامنا بقدر ما تتيسر الدلالة في هذا المضمار ثم يأتي بعد الواحد الحق والروح وتلي النفس في حقيقتها في المقام الثالث أخيرا** "[3] وسعي النفس للخلاص والعودة إلى مقامها الأول والكامل مع الروح والواحد .

بقي سؤال غامض حول وجه لأفلوطين ما هو علة الواحد ؟ فرد على ذلك أنه علة نفسه ، والشيء الإضافي أن أفلوطين أسس في روما مدرسة كان لها أثرها البالغ في طريقة التفكير في الطبيعة اللاهوتية والفلسفية المسيحية، وتعاليم كتبه عرفت في الغرب اللاتيني

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 160.

[2]- أفلوطين : التاسوعات ، المرجع السابق ، ص 301.

[3]- المرجع السابق ، ص434.

حيث أن أوغسطين استطاع قراءة "تاسوعات" أفلوطين ، وكان فكره مؤثرا بشكل كبير في اللاهوت الكاثوليكي والفلسفة الغربية عموما .

2- تطور الفكر السياسي:

تعد السياسة وسيلة استخدمها الحكام لتسيير شؤون عامة الناس، وكانت من بين الضروريات التي شرعت لها القوانين، وجندت لها كامل القوى ، بغية التنظيم وصلاح المجتمع ، والفكر السياسي لم يقتصر على المسيحيين مثل اللاهوت بل عرف منذ القدم وهو على النحو التالي:

✓ الحضارات الشرقية القديمة (الفارسية أنموذجا)

تمحورت الحياة السياسية في الحضارة الفارسية القديمة التي عرفت في حوالي 600 ق-م حول تطور الهيكلة المؤسساتية في السلطة والحكم ، وفي انعكاس الحياة الدينية الأسطورية على تلك النظم السياسية ، وقد تطور الفكر السياسي العملي في الحضارة الفارسية نتيجة دوافع نوعا ما دينية ميتافيزيقية ، وأخرى رغبة في القوة والهيمنة بحيث نجد أن الفرس هم من " أقوام آرية ، وأخرى من شبه القارة الهندية "[1] واستطاعوا تشكيل مقومات الدولة من لغة وقوة عسكرية وحكومة ، وحاكم يداول شؤون الشعب الفارسي.

مرت الفرس بثلاث مراحل حكمت البلاد مرحلة العصر الأخميني ، وهي الفترة التي قام فيها كورش الأول بالثورة على ملك ميديا في غرب آسيا الصغرى ، منتصف القرن السادس

[1]- عبد الرضا حسين الطعان: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1 بالجزائر، 2015م ، ص- ص 77- 79 .

قبل الميلاد ، وهي فترة عرفت بالقوة والولاء في فتراتها الأولى ، إلى أن تغير النظام بسب طغيان الملوك وسقطت سياسية الأخمينين اثر فتوحات الإسكندر المقدوني ، أما المرحلة الثانية في العصور البرتية وهو حكم سكان برت لفارس وامتدت فترة حكمهم من 250ق–م إلى غاية 226 ق–م، وشكلت حكما سياسيا أساسه ملوك الطوائف ، وهي فترة اشتد فيها التوتر اثر الاختلاف بين ولاة الطوائف إلا أن سقطت الدولة واستولى عليها السيسانيون ، وهي المرحلة الأخيرة التي عرفت بالاستقرار وتطور الحياة السياسية والمزج بين الروح الدينية وسلطة الحاكم إلى غاية الفتوحات الإسلامية وسقوط الدولة الفارسية

أما بالنسبة للتاريخ الفكري في الحضارة الفارسية انطلق من المرتكزات الدينية التي تبنتها اغلب الأفكار التأملية في جوانب الحياة فنجد عندهم الكتاب المقدس " **زاندافيستا** " الذي يحوي معالم الفكر الديني لدى الفارسية القديمة إذ أن عقائدهم الدينية كانت مرتبطة بحياة الإنسان واتصاله بالمعبود الذي يعتبر النار أو الهواء أو الماء، أو التراب وبذلك نقول أنهم قدسوا كل مظاهر الحياة الطبيعية ، وكانت لديهم عقيدة الأضحية البشرية إرضاء للإله وتغيرت فيما بعد إلى الحيوان، ولديهم أيضا اعتقادات في فترات زمنية متقدمة أن العالم يحكمه إلهين قد يكون ميترا أو اناهيتا ، وتغيرت المسألة لاحقا وأصبح الإله اهورامزدا الذي جرد من التجسيم في الأرض وأصبحت النار رمزية له .

بعد فترة من الزمن ظهرت الديانة الزرادشتية وأعلنت في البلاد ديانة رسمية ، واعتقد شعب الفرس أن زرادشت نبي الإله في الأرض ، واستطاعت هذه الديانة أن تفرض سلطان

روحانيتها على نفوس الفارسيين ، وبعد مرور حوالي قرنيين من الزمن ظهرت "**المانوية** على يد **ماني** الذي رأى أن ثنائية الخير والشر لا أمل للإنسان في نصرة احدهما على الآخر"[1] أي أنه نوعا ما كان تشاؤميا ، ولذلك لم يؤخذ بما آتى به من قبل الشعب الفارسي ، وكذلك رأى أن العالم فيه نور وظلمة ، وخلاص الإنسان في ذلك إنقاذ النفس من الجسد وكان رأيه هذا نهايته الحتمية على يد الملك تطبيقا لما أتى به.

استمر الحال من شتات في الفكر الديني وتعاقبت الديانات التي لم تعمر كثيرا في البلاد مثل المازدكية التي أخذت من المانوية الشيء القليل ، وتحدثت عن حياة الإنسان مع الآخر ورأت أن الحروب سببها المال وحب الامتلاك ، وتنوع الطقوس الدينية والاختلاف عليها وانعدام الحرية الفردية ، فدعت إلى تطبيق المشاعية في جميع الممتلكات وإلغاء الدين الواحد.

يعد ما أتت به المازدكية شيء غريب أعاد إحياء الديانة الزرادشتية من جديد إلى غاية فتح الإسلام لفارس ، وكل هذا التنوع الفكري الديني أسس لنظريات سياسية وكان سببا في أحداث سياسية عديدة ، وتغيير مبادئ السلطة والقوة من حاكم إلى حاكم ، فإستغل الحاكم تلك الظروف الدينية ، وأسس عليها سلطته المطلقة على كل هياكل الحضارة الفارسية واستعان بفكرة أنه مفوض من الإله في الأرض.

---

[1] – المرجع السابق، ص8.

ذلك أمر ليس بغريب ، فنظرية التفويض الإلهي عرفت في حضارات أخرى ، ولكن كانت في الحاكم موصفات تفرض بقاءه على الحكم من قوة وحكمة ، وحتى أنه أصبح الحكم وراثي ، ويعد هو المسؤول الأول عن التشريع وتسيير البلاد ، "وكانت قوة الملوك قوة سلطة دينية ولا احد ينازعهم في ذلك"[1] والملك آنذاك شرع ووضع نواميس تحدد الواجبات التي وضعت على شكل حكم ومواعظ وأمثال .

✓ الفلسفة السياسية في اليونان (أفلاطون نموذجا)

تستند الأفكار السياسية في الفلسفة اليونانية من خلال نظام الحكم الطبقي إلى نظام دولة المدينة ، وتحول الفكر السياسي من فترة إلى فترة بتوجه مغاير على ما قبله فنجد أفلاطون ركز في تصوراته السياسية المترجمة في كتابه الجمهورية على البحث في طبيعة المدينة الفاضلة الناجحة في التدبير السياسي المثالي ، حيث رأى أن الدولة أساسها الإنسان وإرادته الحية وقدراته العقلية ، التي تجسد تضافر الإنسان مع غيره ، وبذلك تكون دولة المدينة المجتمعة تحت نظام حكم، وذلك غرض تلبيات حاجيات الفرد ضمن المجال السياسي القانوني المتكامل ، ورأى أفلاطون في مسألة التدبير السياسي في الدولة أنه الحق بذلك الذي تكتمل فيه معاني المعرفة والحكمة .

استطاع أفلاطون التمييز بين قدرات البشر العقلية ومهاراتهم العملية بحيث يكون البعض أكثر أهلية من غيرهم لإنجاز وظائف الحكم ، من خلال القابلية على تطوير القدرات

---

[1] – المرجع السابق، ص 89 .

العقلية و التعليم ، والتربية ليصل إلى درجة الحكمة ، وله الحق في حكم دولة المدينة ومعنى ذلك أنه قسم طبقات المجتمع إلى ثلاث طبقة الحكام ، "وهم الفلاسفة المؤهلون بقدراتهم العقلية ، وكذلك طبقة الحراس وهم المحاربين المؤهلين بقدراتهم الجسدية ، وبعدها وأخيرا طبقة المنتجين وهم المزارعين والصناع والتجار يحكم قدراتهم الجسدية ومسؤوليتهم في توفير الحياة المادية للدولة والخضوع للحكام" ،[1] وهو بذلك استند إلى مرجعية التفاوت بين الطبقات وأسس عليه تصوراته السياسية ، وأكد على المعرفة كشرط توافقي مع الفضيلة والفلاسفة هم أهل لذلك ، وهم بذلك يملكون مؤهلات الحكم ، ويؤسسون حكمهم من خلال مبادئ الفضيلة التي تؤسس للعدالة والمساواة ، وللحاكم كامل الصلاحية في تسيير دولة المدينة بقراراته الحكيمة من خلال حمايته للدولة من الخطر الخارجي ، وتلبية حاجيات الناس وإدارة شؤون حياتهم اليومية والتنظيمية ضمن العلاقات الاجتماعية .

بذلك نقول أنه أسس برنامج لتسيير المجتمع المدني من خلال إلغاء الملكية ، وفرض المشاعية في النظم الأسرية والزواج والتي طبقها على الحكام ، ورأى أن "للنساء مهمة الإنجاب والحراسة مع حراس المدينة"[2]، وبذلك ساوى بينها وبين الرجل ، "وأسس بذلك أهداف اجتماعية سياسية متمثلة في تأمين وحدة المجتمع ، وتماسكه ، وكان هدفه في ذلك الولاء للحاكم الأول وهو الفيلسوف"[3] ، ورأى أيضا أن هنالك أنظمة سياسية تتداول السلطة من

---

[1]– المرجع السابق ص 229 .

[2] – عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، ذات السلاسل بجامعة الكويت ،(د.ط) الكويت، 1993م، ص 171.

[3] – عبد الرضا حسين الطعان: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، المرجع السابق، ص238.

النظام الارستقراطي ، والذي أساسه حكم النبلاء وهو أكثر الأنظمة واقعية لأنه يهدف إلى الخير والفضيلة ، ويجسد نظام الدولة العادلة ، وبعد ذلك النظام التيموقراطي وهو حكم الباحثين على المجد والشرف وهو حكم الأقلية العسكرية المتطلعة للمجد والشرف الراغبة في التفوق وتحقيق الانتصارات العسكرية .

أيضا النظام الاوليغاشي والذي يحكم فيه الأغنياء أو الأقلية الثرية ، حيث ترتفع فيه قيمة الثروة والغنى فتصبحان مقياس كل شيء، ويؤسس بعدها النظام الديمقراطي وهو حكم الأحرار من المواطنين لأنفسهم بأنفسهم و، هدفه تحقيق الحرية لأفراد المجتمع وحراستها والنظام الاستبدادي وهو حكم الفرد المستبد ، وهو الحكم الفرد الطاغية وفيه يسيطر الجهل وعدم الكفاءة والاستبداد بفعل السلطة ، جميع هذه الأنظمة تعبر عن حياة سياسية عاشتها أثينا ، ولكن أفلاطون بمثاليته أسس لتصوره السياسي ، و"استطاع الإعلاء بمكانة الفيلسوف"[1] الذي يراه الحاكم المثالي ، وهو يساند النظام الارستقراطي وينادي به.

أفلاطون أسس نظريته السياسية من "خلال الترابط بينها وبين الأخلاق والفضيلة الذي لابد منه أن يعبر عن الحق المثالي"[2]، وليجعل السياسة مرجعها العدالة القانونية ، بحيث كان هم أفلاطون ذلك الانقسام بين الطبقات في المجتمع من خلال الأغنياء والنبلاء وهو لا

---

[1]–أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة ، (د.ط) بمصر ، 1994 ص32.

[2]– جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ترجمة ناجي الدراوشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، ط1 بدمشق، 2010م ، ص 48.

ينكر ذلك ، ولكن حاول إرساء وإعلاء من قيمة الرجل الحكيم وهو بذلك أكد على القدرات الفردية للإنسان وحدد نوعا ما الطبقة الحاكمة لنظام الحكم في دولة المدينة .

المبحث الثاني: علم اللاهوت المسيحي

1-علم اللاهوت المسيحي(الماهية، النشأة، التطور):

علم اللاهوت المسيحي هو ذلك "العلم الذي بحث في الذات الإلهية بعقيدة مسيحية"[1] ويصح القول أنه علم من خلال أن له غاية يدركها وطريقة ، ومنهج في البحث عن ذات الرب وصفاتها عن طريق الاستدلال منطلقا من أصول ومبادئ منتهيا إلى نتائج ، وقد رأى فيه المسيحيون أنه الشيء الوحيد الذي يعرفهم بذات الرب انطلاقا من البحث والكشف بواسطة العقل الإنساني المرتبط بالإيمان المسيحي ، وسبب ربط العقل الإنساني بالإيمان لكي لا يتجاوز حدوده والباحث والدارس لعلم اللاهوت عليه أن يتقيد بعقيدة الإيمان وإلا لن يطلق عليه لاهوتي بل مؤرخ للاهوت إذا ثبت العكس .

منهج اللاهوتيين في معرفتهم للذات الإلهية وصفاتها تتم من خلال الكتاب المقدس الذي أنزله على نبيه المسيح ، وهذا الكتاب نستطيع من خلاله معرفة كيان الرب وقدرته وحتى صفاته التي تعبر عن جلاله ، وتلك الصفات يستطيع الإنسان إدراكها من خلال استعمال العقل كأساس ومبدأ ، واستعمل اللاهوتيون هذا المنهج العقلي استنادا إلى مبادئه

[1]- *S. ÈM –Gousset le Cardinal Théologie Dogmatique, Librairie Victor Le coffre, Édition, paris, 1884, page 1.*

وهي" الانتقال من العام إلى الجزء"[1] مثلا صفة الوجود القائم بذاته يمكن استنتاجها من أن الله هو المحرك الأول الذي لا يتحرك ، ومن هذه الصفة الأخيرة نستنتج أن الله لا يتغير وتليها الصفات الأخرى إنه سرمدي ، غير محدود ... الخ، وفي بعض الأحيان يستعمل اللاهوتيين المنهج العقلي في إدراك صفات الله من خلال النظر في الخليقة المحسوسة ومنها ليصل إلى استخلاص الصفات الإلهية الكاملة.

أما فيما يخص الجانب التاريخي لظهور اللاهوت المسيحي، فمنذ بداية الدعوة ونشر تعاليم الديانة مع السيد المسيح حقيقة اللاهوت لم تعلن آنذاك على أنها علم أو عقيدة أو ممارسة ، حتى أن المسيح لم يعلن عليها ولا تلامذته ، ولكن بعد ذلك تغيرت الأمور وبدأ آباء الكنيسة رحلة اكتشافهم لحقيقة خالق الكون وسموا هذه الأخيرة بالعقيدة المقدسة أي كل من يبحث في طبيعة الخالق ، وصفاته وسر نظامه الكوني من خلال التأمل في الطبيعة والعالم المحسوس، ولكن تطور الأمر وأصبح لعلم اللاهوت مسلمات أخرى هي البحث عن الرب من خلال الوحي ، أي من الكتاب المقدس وتعاليمه وبداية الكشف عن الله من خلال تلك التعاليم ، فكان لابد أن نتطرق لبدايات الفكر اللاهوتي المسيحي ومتى أصبح يطلق عليه علم ؟ وكيف أسس لنفسه مجالا بحثيا خاصا به؟ فكانت البداية مع قديسين اتبعوا التدرج في مراحل بناء فكر لاهوتي مؤسس على توجه علمي ممنهج .

[1] – موريس تاوضروس : علم اللاهوت العقيدي، ج1، دار الجبل للطباعة ، ط1، بمصر ، 1994 م ، ص 6.

✓ مع القديس أكليمنضس السكندري:(150م-230م):*

بدأ الفكر اللاهوتي المسيحي مع آباء الكنيسة في الإسكندرية بفعل الجدال مع الوثنيين اليونانين المعروفين بالنزعة العقلية والحكمة الفلسفية ، والقديس اكليمنضس(Clément d'Alexandrie) رأى في كتابه المتنوعات أن ضرورة الفلسفة عند اليونان كانت بفعل الحاجة ، وكانت سببا في تقدمهم إذ يقول" كانت الفلسفة ضرورية من اجل اليونانيين لتقدمهم في البر إلى أن يأتي الرب وهي الآن تساعد على التقوى الحقيقية وهي تمهيد وتدريب لكل الذين يصلون إلى الإيمان عن طريق البراهين العقلية..."[1] استمد القديس اكليمنضس رؤيته الواضحة لترابط الحكمة الفلسفية مع التقوى ، من خلال طريق الوصول إلى الرب من خلال البرهان العقلي ، ومن هنا يتضح دور العقل في معرفة الله وما يسمى لاحقا باللاهوت المسيحي.

هذا دليل على أن اللاهوت كعلم كانت بوادر مع آباء الكنيسة الأوليين الذين سعوا إلى معرفة الله ، من خلال ما يعرف باللوغوس الذي يعرف على أنه المسيح ، إذ رأى فيه

---

* تيطمس فلافيوس اكليمنضس : السكندري احد فلاسفة ولاهوتي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية أكد على ضرورة توافق الفلسفة مع تعاليم الكنيسة من كتبه المربي ، نصح لليونانيين ، المتفرقات (اكليمنضس: المربي ، دار فيلو باترون للترجمة والنشر ، ط1 بالإسكندرية ، 1995م ، ص 13 .)

[1] – جورج حبيب بباوي : المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، المرجع السابق ، ص 40.

القديس اكليمنضس أنه هو السند الأول في إدراك الذات الإلهية ، من خلال أنه روح الرب في ابنه إذ قال " اللوغوس هو قيثارة الله المقدسة ، إذ كان اللوغوس في البدء وهو لا يزال المصدر الإلهي لكل الأشياء ولكن الآن صار له اسم المسيح لأنه هو نفسه تجسد وظهر كانسان وهو وحده الإله الإنسان معا معيننا هو الرب الذي في البدء أعطى الإعلانات ولكنه الآن يدعونا جهرا للخلاص هو المعلم الذي منه نتلقى التعليم"[1] بذلك نستطيع القول أن فكرة اللاهوت هي مرحلة يمر بها الباحث عن الذات الإلهية بعد معرفة المسيح للوصول إلى الأب ، واستخدام الفلسفة هاهنا يتعلق بالأمور التجريدية في إدراك جوهر الله من خلال اللوغوس ، والفلسفة تعد وسيلة عملية يستخدمها هذا الباحث من خلال منهجها العقلي الاستدلالي إضافة إلى فضائل المحبة والصلاة والخوف.

فكرة اللوغوس رأى فيها القديس اكليمنضس قدرة السيد المسيح أن يصل إلى الله من خلال تلك القدرات التي تكلمنا عليها سابقا من خوف ومحبة و قدرات عقلية ممزوجة بإيمان بجلال الرب وقدرته الواسعة فأصبح بذلك جزءا من الرب .

✓ مع العلامة اوريجينيوس(185م-251م)*

تطور الفكر اللاهوتي نوعا ما بعد ما كان البحث في الله من خلال جملة العقائد التي بينها المسيح المعلم ، ولكن آباء الكنيسة في فترة اوريجينيوس(Adamantios

[1]- المرجع السابق ، ص 41.

*- ادامانتيوس اوريجينيوس من احد مفسري الكتاب المقدس الأوائل كتاباته معظمها عقلية عرف بخلافه مع الكنيسة له أعمال كثيرة في الصوم والقانون الكنسي (تادرس يعقوب المالطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى، دير الشهيد العظيم ط1، بالإسكندرية، 2008م ، ص 71.).

Aorregenius) استعانوا بالكتاب المقدس كمصدر، لأنه وحي الرب المنزه وهو بذلك أصل المعرفة اللاهوتية ، والقارئ للكتاب المقدس عليه أن يميز بين" ثلاث مستويات في اطلاعه على هذا الأخير المستوى الحسي الحرفي ، والمستوى الأخلاقي وهذان هما مستويا الإنسان العادي البسيط ، أي بمعنى له القدرة على فهم معاني الكتاب المقدس والاتعاظ به فقط لا غير ،أما المستوى الثالث فهو الروحي وهو خاص باللاهوتي ،أو كما سماه اوريجينيوس (المثقف)"[1]، وهو المسيحي الذي تدرب عقليا على التفكير السوي ، فهو بذلك يبحث في معاني كلمات الكتاب المقدس بكل دقة ووضوح ويجد في ذلك شقاءا وعسرا وعندما يكشف المعنى الخفي نستطيع القول أنه لاهوتي بحث في الله من خلال وحيه.

لم ينكر اوريجينيوس دور المسيح في تعليم أسرار اللاهوت حيث قال " أن اللوغوس الإلهي جاء ليكون طبيب للخطاة ولكنه يصبح معلما للأسرار الإلهية للذين كفوا عن الخطيئة وصاروا أنقياء "[2] بمعنى أن السيد المسيح يعلمنا تعاليم اللاهوت بعد التوبة لان معرفة الله ليست تعاليم عملية محضة فقط بل هي ذوق داخلي لأسرار الله ونقاوة القلب أساس في ذلك.

وفي حقيقة الأمر اوريجينيوس هو من عالج اللاهوت بطريقة نظامية مفصلة فقد استند إلى أن معرفة الله تكمن في قدرة الإنسان على استعمال العقل في حدود الإيمان المسلح بالتقوى والخوف والمحبة ، وبدرجة المعرفة الحقيقية لأسرار اللوغوس ، والكتاب المقدس وكل هذه المعارف يصل إليها الإنسان من خلال:

---

[1]- المرجع السابق ، ص. ص 42- 43 .

[2]- جورج حبيب بباوي : المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي ، المرجع السابق ، ص44.

- التوبة من الخطايا

- التحكم في العقل وضبط الأهواء

- الحقيقة المطلقة في الكتاب المقدس

- الإيمان بان السيد المسيح رسول الرب وابنه و ألوهية الإبن ليست كألوهية الأب وهذه الحقيقة جعلت من آباء وقديسي الكنيسة ينقدوه أمثال انسطاسيوس وأوغسطين ...الخ.

الشيء الأكيد أن العلامة اوريجينيوس أسس لنفسه مدرسة ضاع صيتها وحركت معالم وأعلام الديانة المسيحية ، وجعلتهم يردون عليه بكل ما أتي من قوة الحجاج ، وفقه اللغة ودقة النص، ولكنه بقي وأتباعه على فكرهم إلى غاية أن فارق الحياة في فلسطين .

✓ مع القديس امبروزيوس(474م–397م):

استمد امبروزيوس (Ambroise) فكره اللاهوتي من تفسيرات الكتاب المقدس ومعرفته للرب كانت من خلال معرفته للإبن السيد المسيح ، فما للإبن من صفات جوهرية مثلها للرب الأب ، ومعظم كتابات امبروزيوس نجد فيها نوعا من الخطاب الموجه للهراطقة ومبتدعي عصره وهو قد رد على إنكار ألوهية السيد المسيح حيث قال " إذن فبدون أي شك نحن نؤمن أن كل ما للأب هو للابن لأنه هو الله فكيف تنكر ألوهية الابن مع أن له اسم الله

الواحد "[1] هذا دليل على أن ألوهية الإله مع ألوهية الابن متوافقة في كل الأشياء ، ولا خلاف في ذلك ، وتكلم عن الصفات الجوهرية للإله.

رأى امبروزيوس* أن الله ليس بجسد مادي ولا يدركه البشر بحواسهم ، ولكن يمكننا معرفته من خلال صورته في الأرض ، وهو إبنه السيد المسيح ، أما تعلقه بالجسد فهو من إرادته لخلاص البشر حيث قال" "إن الكلمة من جوهر الأب أما الجسد فمأخوذ من العذراء " ومنه نقول إن الإبن روحه هي جوهر ربوبيته ، أما جسده فهو بالطبع لا يسيء إلى الله في شيء ، ولا يغير من صفاته أبدا ، بل هي لحكمة إلهية ونظام كوني ، ونزول المسيح إلى الأرض وإلتصاقه بالجسد ذلك تبعا لقدرة البشر على استيعاب ذلك ، فلا يمكن لبشري أن يدرك طبيعة الله في الأرض بغير ما له من قدرات عقلية وحسية ، وهذا ما جعل المسيح في صورة إنسان ، وقد تكلم امبروزيوس عن اللاهوت والناسوت وحذر من خطر الثاني على الأول لأنه يفتح مجالا للهرطقة من خلال تعدد التفسيرات واختلافها ، وكثرة السؤال تؤدي إلى الحيرة ، والحيرة تؤدي إلى الشك ، والشك هو سبيل للاختلاق البدع.

تفسيرات الكتاب المقدس تعد المجال الأول في إدراك الله وصفاته لا غير ومعرفة سيرة المسيح تساعد على ذلك ، وهي أيضا سند في فهم أي غموض متعلق بالكتاب المقدس

* – اوريليوس امبروزيوس: احد معلمي الكنيسة اللاتينية ، أسقف مدينة ميلان ،وهو مثال للأخلاق المسيحية له أعمال عدة منها في الأسرار ، سر تجسد الرب ، في التوبة ... الخ ينظر: (تادرس يعقوب المالطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى، المرجع السابق، ص 258.).

[1]– امبروزيوس : سر تجسد الرب ، ترجمة ريمون يوسف ، بدلتا ، ط1 ، بالإسكندرية ، 2011 م ، ص 19.

وعلى اللاهوتي أن يمتلك الإيمان في مجال بحثه عن الله ، لأن طبيعة الرب متعالية عن جميع تفسيرات البشر ولذلك عليه أن يكون أكثر حذرا وأكثر إيمانا وحبا لله .

لعلم اللاهوت المسيحي وظائف أساسية كان ولابد منها وهي بتعدد أقسامه والتي تظهر من خلال نوعيه لاهوت طبيعي ولاهوت وحيي ، فالأول بحث في حقيقة وجود الله من خلال الطبيعة وهو ليس من مرتبط ارتباط وثيق باللاهوت المسيحي ، لأنه سبق ظهوره ظهور الدين المسيحي لكن لا يمكن إنكاره ، لأنه أيضا بحث في طبيعة الله وخلقه لهذا الكون ولكن لابد له من الأخذ بجميع العقائد المسيحية "ويمكن استخدامه في فهم تلك الممارسات العملية في الديانة المسيحية "[1] والثاني بحث في جملة العقائد المسيحية المستنبطة من الكتاب المقدس والنظر في طبيعة الوحي ودحض أي شبهة تمس قدسية الأحكام التي جاء بها الوحي من تشريعات وضعية وعقائد و مبادئ أخلاقية وغيرها من التعاليم التي تهم الإنسان المسيحي المتدين وهو أيضا له تقسيمات حسب طبيعة مجال البحث وهي كالتالي:[2]

1- **علم اللاهوت التفسيري**:الاطلاع على الكتاب المقدس بكل دقة وتأن لتفسيره تفسيرا صائبا ومعرفة كل حقائقه التي من خلالها يبني علم اللاهوت النظامي.

2- **علم اللاهوت التعليمي**: وهدفه ترتيب الحقائق المتحصل عليها من علم اللاهوت التفسيري وتنظيمها وعرضها.

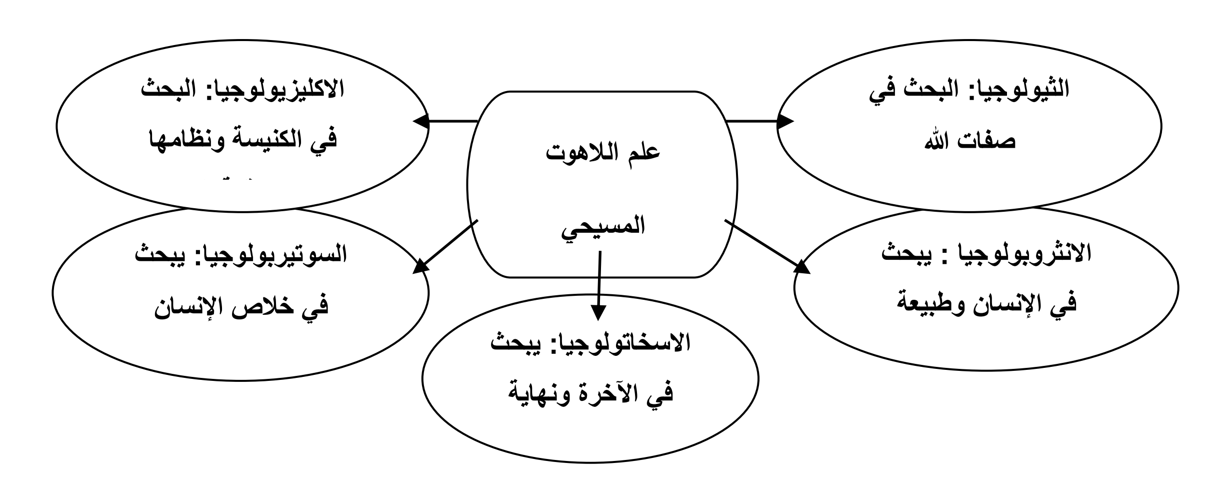
[1] - جورج حبيب بباوي : المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي ، المرجع السابق ، ص10.

[2] – جيمس انس : علم اللاهوت النظامي ، ترجمة منيس عبد النور ، المرجع السابق، ص 17 .

3- **علم اللاهوت الدفاعي:** وغايته دفع الضلال والدفاع عن الحق بدحض الآراء الخاطئة والهرطقات بالحقائق الدينية والتعاليم المسيحية الشرعية.

4- **علم اللاهوت التاريخي:** غايته بيان تقدم التعاليم اللاهوتية من قرن إلى آخر وما طرأ عليها من تغيير إلى أن بلغت حالتها الحاضرة .

يمكن أن نحدد تقسيمات أخرى للاهوت حسب طبيعة الموضوع ، هذا لا ينكر أن اللاهوت مبدأه الأول معرفة الله والبحث في صفاته ، وهذه التقسيمات تدل على مدى ارتباط معرفة الله بالإنسان وبواقعه الذي يعايشه ، من ممارسات وطقوس تخص علاقته بربه وهي على النحو التالي:[1]



علم اللاهوت المسيحي هو معرفتنا بالله حيث ننطلق من معرفتنا بصفاته لكي نصل إليه ، بواسطة البراهين العقلية التي من خلالها نستطيع إدراكه ، بفعل البرهان والاستدلال

---

[1]- المرجع السابق، ص19.

*- غريغوريوس النزينزي: (329- 390م) هو احد تلامذة اوريجينيوس ، انتخب أسقف نزينزة ، عرف على أنه كان راعيا ومبشرا في القسطنطينية ، له عدة رسائل منها الرد على الابوليناريوس ، ينظر: (حنا الفاخوري : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، منشورات المكتبة البوليسية ، ط1، بمصر ، 2001م ، ص 521.)

التي يمتاز بها العقل البشري ، واللاهوتيون ينكرون أن لله جسد ، وأنه محدود بمكان أو زمان ، وهو أصلا غير قابل للرؤية وحتى للمس، حيث يقول **غوريغوريوس النزينزى*** في كتابه " في اللاهوت" متكلما عن صفات الله " فكيف تعبد إذا كانت ذات حدود؟ وكيف تنحو عن الانحلال أو من الفناء الكامل إذا كانت مركبة من تلك العناصر المادية ؟ لان التركيب عامل صراع ، والصراع عامل الانقسام ، والانقسام عامل زوال ، والزوال هو أمر غريب عن الله كليا ، وغريب عن الطبيعة الأولى فليس ثمة انقسام في الله ولا تركيب حتى لا يكون هناك صراع ، ولهذا فليس ثمة جسد لله حتى لا يكون هنالك تركيب ، وبهذا الاستدلال يصل العقل إلى هذه النقطة متدرجا من الأعلى إلى الأدنى "[1] وهذا يؤكد لنا أن اللاهوتيين كانوا يدركون معنى ذات الله تجريديا بفعل التدرج والبرهان العقلي.

بمعنى أنهم وصلوا إلى الله بفعل عوامل منها العقل ، واستعانتهم بالكتاب المقدس الذي شرح وأدركوا أن الله في الكل ويملأ الكل ، بمعنى أنه نور يضيء هذا الكون وقدرته تسير هذا العالم ، وكذلك أدركوا أن الله غير مولود ، ولا بدء له ، وليس متغير ، وغير قابل للفساد ، هذا ما فتح باب الجدال ضدهم من وثنيين يستندون إلى ملكة العقل ، هل بإمكانهم معرفة الله بواسطة العقل البشري فقط ؟

---

*- غريغوريوس النزينزي: (329- 390م) هو احد تلامذة اوريجينيوس ، انتخب أسقف نزينزة ، عرف على أنه كان راعيا ومبشرا في القسطنطينية ، له عدة رسائل منها الرد على الابوليناريوس ، ينظر: (حنا الفاخوري : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، منشورات المكتبة البوليسية ، ط1، بمصر ، 2001م ، ص 521.)

[1]- غوريغوريوس النزينزى : في اللاهوت ، ترجمة القمص مرقوريوس الانبا بيشوى ، كتب النسر للطباعة ، ط1 ، 2008 ، ص. ص 12- 13.

حاول اللاهوتيون شرح طريقة إدراك الله ضمن هذا المجال الروحي المجرد فقال غوريغوريوس النزينزى في هذا الصدد" إن العقل البشري لا يمكن أن يدرك الألوهة ولا أن يتخيلها بكليتها "[1] أي بمعنى أن الله لا يمكن إدراكه بالعقل كليا لأن العقل البشري عاجز عن ذلك ، بل يمكنك إدراكه بفعل ما خلقه من حول هذا العقل ، والتأمل في ما حوله جزء من إدراكنا لذاته ، وكذلك الشيء الذي يساعدنا على بلوغ الذات الإلهية هو التقرب إليه بالمحبة والخوف من جلاله والتوبة إليه ، وإدراك صفاته الجوهرية من خلال أنه مثلا عادل لا يظلم وحكيم غير جاهل ... الخ، تلك أيضا مؤشرات للوصول إلى الرب .

تستطيع أن ترى الله من خلال عظمة خلقه وجمال كونه ونظام مخلوقاته ، لكن لا تضيع الله ضمن قدرته بمعنى أن الله أكمل من كل تلك المخلوقات ، وسبب ظهور ديانات وثنية في ضياعهم في مخلوقاته وعظمتها وجمالها ، فلو أنهم تسألوا هل هناك أعظم من هذا الإله الذي نعبده ، الذي رأوا فيه أنه خالق هذا العالم المحيط بهم لوصلوا إلى الله حتما فمثلا رأوا أن عظمة الله في الشمس فعبدوها وتركوا خالق تلك الشمس التي لا تعبر عن قدرة الله في شيء .

رؤيتنا لله لابد أن تتجلى في التصور العقلي الخفي وراء تلك المخلوقات لتصل إلى الكمال ، وأكثر ما ساعد على البعد عن الله هو الجانب الفني الذي جسد فيه الوثنيين فكرهم الناقص عن الألوهية ، فصنعوا لأنفسهم آلهة يعبدونها من حجر وتماثيل ... الخ

---

[1] – المرجع السابق ، ص 16.

لأنهم رأوا فيها قدرة الله التي تعد اكبر من ذلك ، ولكن لكي نصل إلى الله على الإنسان أن يتحد مع الرب بفعل الإيمان، والمحبة، والتقوى، والخوف من جلاله، وإتباع عقائد الدين المسيحي.

2- علاقة الإيمان والعقيدة باللاهوت المسيحي:

يقوم اللاهوت المسيحي على مجموعة من العقائد والطقوس ، والمبادئ الإيمانية والتي من خلالها يتعرف المسيحي على طبيعة الله ، وصفاته الجوهرية وتلك العقائد هي التي تضمن تعلق المؤمن بربه على حسب اعتقادهم ، ولعل أفضل تعريف للعقيدة المسيحية هي " العلاقة بين الله والإنسان وغيره من البشر وسائر المخلوقات"[1] إذ أن لها دور في الحياة الروحية لاسيما بين الرب وعبده ، والشيء المهم أن تلك العلاقة لابد أن تكون ممارسة وصلة روحية في نفس الوقت ، والإعتقاد الدائم أن الله أصل والإنسان صورة له ، وللإنسان قدرة كاملة على التعالي إلى الرب ، بتلك الطقوس التي يمارسها ، والعقائد التي يؤمن بها .

والشيء الذي نؤكد عليه من بين كل العقائد المسيحية هي عقيدة **الخلاص** لأنها محور الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى الأولى ، والتي تعلق بها جل آباء الكنيسة آنذاك حيث تعد خطيئة آدم هي مرجعيتها الأولى ، أي سبب استحداث هذه العقيدة ، وتقوم فكرة هذه العقيدة على أن الله خلق آدم وحواء وجعل معهما شجرة أكلا منها الزوجين ، بإغراء من الحية على حسب ما جاء في الكتاب المقدس " فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت ؟

---

[1]- جورج حبيب بباوي : المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي ، المرجع السابق ، ص10.

فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت ... تعود إلى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب والى التراب تعود" [1] وهذه الخطيئة ورثت لجميع البشر ولابد من الخلاص منها ، وعودة السيد المسيح الذي يعد فداء لتلك الخطيئة خلاص للبشرية ، وعلى الإنسان أن يسعى دائما بتعلقه بربه للخلاص من تلك الخطيئة والعيش بسلام وسعادة .

وتعد معظم العقائد المسيحية أمور مستحدثة بعد صعود السيد المسيح ، وهي جملة من الطقوس والممارسات الروحية التي تعد تراكما لطقوس عرفت في الديانات الوثنية من قبل في حضارات الشرق القديمة " فمثلا المجوس لديهم اعتقاد بأن زوستر إله أرسل ليفدي الناس ويخلصهم من الطرق الشريرة وأنه بعدما أتم أعماله على الأرض صعد إلى السماء" [2] والعديد من العقائد المسيحية مستوحاة من الأساطير اليونانية والخرافات التي عرفت في ديانات الشرق .

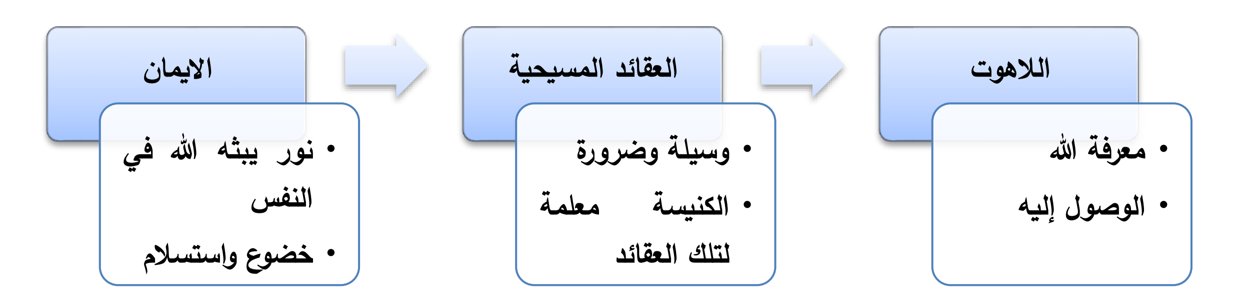
وعلاقة اللاهوت بالعقيدة بصفة عامة – القصد في ذلك هو كل العقائد المسيحية – هي دراسة الحقائق الإيمانية المتعلقة بالله، وتهدف إلى عرض المعارف الإلهية في شكل مترابط يستطيع المسيحي معرفة صفات الله وطريق التعلق به، وعقيدة الخلاص تجعلك دائما متعلق بأمل النجاة في الآخرة ، وسبيل ذلك إلا في العودة إلى الله ، والبحث عنه ، للوصول إليه" وحيث أن العقيدة تهتم بدراسة الحقائق الإيمانية الإلهية والتي تعلمها الكنيسة فإنها لا تحمل فقط خاصية كتابية بل أيضا سمة كنسية ، ومن البين أن اللاهوت يرتبط بالكنيسة التي

[1]– سفر التكوين الإصحاح 3/3 .

[2]– أنمار أحمد محمد : اللاهوت المسيحي نشأته طبيعته ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، سوريا ، 2010 م، ص75.

ينتمي إليها، ويكون في وضع الشارح والمفسر لعقائدها " وبذلك دور الكنيسة هنا واضح كل الوضوح في الشرح والتعليم ، لكل تلك المبادئ .

وعلاقة الإيمان بتلك العقائد المسيحية التي بها نصل إلى المعرفة اللاهوتية ، هو النور الذي يضيء درب المسيحي ، وهو الرضوخ والطاعة التي يبثها الله في عبده ، ومن خلال ذلك يستطيع المسيحي تقبل تلك العقائد بكل سهولة ودون اعتراض ، وهنا تظهر مدى ارتباط الإيمان ، باللاهوت ، وجملة العقائد المسيحية .



يعتقد آباء الكنيسة أن تلك العقائد التي عرفتها الديانة المسيحية ، تعد من شهادات واعترافات استلموها من السيد المسيح دون أن يغيروا فيها أي شيء وهم منحوها للرعية كتعاليم ، ودور الكنيسة في ذلك تلقينها على أكمل وجه ، ولا بد للمسيحي أن يكون مؤمنا ومتعلقا بالدين وما آتى به " إذ أن الحقيقة الدينية لا تقع مباشرة تحت الإدراك الحسي فالعالم الروحي يكشف فقط لعيون النفس، التي استنارت بنور الإيمان"[1] أي أن الحقيقة الإيمانية تستطيع أن تعلو فوق المدركات الحسية العقلية ، وتدرك الطبيعة اللاهوتية وتتعرف عليه ، بفضل أعماله وعلاقته بالنظام الكوني ، والعناية بخلقه .

---

[1]- موريس تاوضروس : علم اللاهوت العقيدي، ج1، المرجع السابق ، ص 12.

الحقائق الإيمانية لا تعارض العقل أبدا، بل إن العقل يعبد الطريق للإيمان ، ولكن يجب أن يستند الإيمان إلى وقائع مرئية تعد ضمانا لاستمرار إيمانه بالله ، وهي العقائد التي يمارسها والتي وصلتنا من المسيح.

هذا هو اعتقاد المسيحيين في ترابط اللاهوت مع الإيمان والعقيدة ، فكل منهم يكمل الآخر ، ولا نستطيع أن نفهم طبيعة الله دون اللجوء إلى تلك الممارسات العقائدية ، والتعلق بها ، أما مصدرها فهي من المسيح ، وصلتنا في الكتاب المقدس وكل مشتغل في العقيدة عليه أن يحترم حدود تلك العقائد ، ولا يسلط عليها سلطان العقل النقدي الذي يؤدي بنا إلى الشك ، لأن في رأيهم العقل يفتح باب الجدل ، والجدل باب للتناقض ، والتناقض يخل باليقين ويمس قدسية تلك العقائد .

المبحث الثالث: السلطة والدين المسيحي (الجوهر والأثر)

كانت الكنيسة في اغلب الأحيان تنادي بشعار" لتخضع كل نفس للسلطات العليا فلا سلطة إلا سلطة الله ، وسلطاتنا قررها الله لذلك كل من يقاوم السلطة يقاوم قضاء الله"[1] وكل من يقاوم يجلب لنفسه اللعنة والعار ، وهذه الشعارات كانت السند في استمرار الحكم البابوي القيصري، فهل طبيعة الحكم البابوي شرعية ومستمدة من عند الله ؟ وكيف استطاعت الكنيسة أن تلج إلى النفوس ، وتحكم سيطرتها على عامة الشعب المسيحي ؟ .

1-غنار سكيربك ، نلز غيلجي: تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين ، ترجمة حيدر حاج إسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1، بلبنان ، 2012 م ، ص 250.

أ/ دين الكنيسة:

التاريخ الأصلي للكنيسة من كلمة (أكلسيا) وهي مجلس وضعه يوليوس قيصر قبل ولادة السيد المسيح بحوالي قرن أو أكثر ، ليتخذه مكانا لتشريع القوانين ، وعند اليونان كان اجتماعهم كان أيضا في الأكليسيا لبث أمور السياسة والحروب وغيرها.

المعنى اللغوي لكلمة "الكنيسة" من الفعل الآرامي (كنش) بمعنى جماعة آو مجموعة من الناس يجمعهم الإيمان بقضية ما ، وهذه العبارة في الأصل لليهود بعدما اشتق منها المسيحيون كلمة (كنيس) وترجمت في العربية إلى (كنيسة) ، ولكن تدل في القدم على أنها مجمع يجتمع فيه جماعة للبث في أوامر إما سياسية، أو تشريعية قانونية ، ولكن رجال الدين المسيحي قالوا أنها " جسد يسوع المسيح هو رأسها وعمودها السرمدي "[1] الذي لا ينكسر وهي المدبر الأول لشؤون المسيحيين.

هي مكان لتطبيق تعاليم السيد المسيح ، وفسروا قوله عندما أتى على ذكر بيت للصلاة فقط ولم يذكر الكنيسة ابدأ ،" أما كتب أن بيتي بيتا للصلاة يدعى عند جميع الأمم " [2] فقالوا إنها لتعليم أسرار الدين وليس للصلاة فقط ، وهدفهم في اعتقادهم هي خلاص أتباعها من خطيئة آدم ، وقيادة الأمة إلى بر الأمان وإلى الحياة الأبدية السماوية ، وإلى جنة الفردوس.

الشيء الذي عرف عن الكنيسة بعد انتشار رسالة المسيح إلى كامل الشعوب ، أنها مكان للصلاة الربانية ، لكن تغيرت وظيفتها فيما بعد " وأصبحت إدارة تامة لها موظفين

---

[1]- جمال الدين الشرقاوي : الكنيسة وأسرارها السبعة ، مكتبة وهبة ، ط1 ، بالقاهرة ، 2008 م ، ص 30.

[2]- سفر مرقص الإصحاح 11/ 17.

يعملون لجمع الأتباع " أي يمكن القول أنها شكلت كتلة تعرف بالدولة اليوم ، مؤسساتها وعمالها يخضعون لنواميسها الشرعية ، والذي لم يدخل لها لن يعرف الحياة السماوية ، ولن تغفر له ذنوبه .

بلغ اعتقاد المسيحيين في تلك الفترة أن الكنيسة معصومة من الخطأ وذات سلطان إلهي ترعاها روح القدس المرشد والحافظ ، وزعماء الكنائس تكلمهم في الدين أمر خاضع لقوة الله " والعصمة أيضا لا تفارقهم فهم الوحيدون لهم الحق في شرح الكتاب المقدس"[1] وبذلك سيطروا على أهم مصدر للتشريع المسيحي ألا وهو الكتاب المقدس ، وأوهموا الناس أن الكنيسة قادرة على رفع الجهد عن العامة في معرفة وفهم تعاليم الدين من خلال الكتاب السماوي .

أشيع بين الناس أن الكنيسة " هي جماعة المؤمنين إيمانا واحدا بالله ، خالقا وفاديا وديانا وكل أعضائها تجمعهم شريعة واحدة هي شريعة المحبة والإيمان والرجاء"[2] وبدأت أولى أساليب السيطرة النفسية للكنيسة وهي الدعوة إلى لم الشمل تحت رايتها ، لأنها الأعرف بدين الله وشعبها أعلم بالإيمان الصحيح .

ولتأكيد سيطرة الكنيسة اجتمع آباء الكنيسة وخدامها لعقد مجمعات توضع فيها قوانين إيمانية ، وتشريعات خاصة بالكنيسة وشعبها ، وهنا بدأت نواياهم تظهر نحو إبراز معالم دينية تضمن لهم الاستقرار السلطوي داخل الكنيسة وخارجها ، وأظهروا للعامة النية الخاصة

1- المرجع نفسه ، ص35.

2- حنانيا إلياس كساب : مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين المسيحية الجامعة ، منشورات النور ، ط1 ، بلبنان ، 1998 م، ص1.

التي تقول أن من لا يتبع الكنيسة وتعاليمها لا يعرف جنة الفردوس ومثواه الجحيم ، وبذلك احكموا القبض على أفئدة الناس ، وجعلوهم أتباعا لهم يزدادون بهم قوة .

وكان أول شيء بدأت فيه الكنيسة هي تنظيم البيت ، بحيث أعلنت مراسيم خاصة بالتابعين لها وتحديد المهام داخليا ، وادعت أن كل عضو في الكنيسة له واجبات أمام الله ونحو الآخر ، وهي مفصلة في الكتاب المقدس، وفي الوصايا التي وضعها الرسل وهم أتباع السيد المسيح ، ولابد لكل أباء الكنائس وقساسها التحلي بهذه التشريعات الدينية، ولا ضرورة للخلاف بين الكنائس ، وبذلك أمنت الوحدة ، واهتمت بردع الهراطقة والوثنين آنذاك .

بعد تقبل المسيحيين للكنيسة كان ولابد من تبرير حجة لهؤلاء الذين بداخلها ما وظيفتهم؟ فقالوا " إنهم خلفاء الرسل ولهم السلطان الموهوب من عند الله ، ولذلك فهم وكلاء النعمة الإلهية وذو قدرة على توصيلها للبشر" [1] وهذا غير كاف فإستحدثوا سبلا أخرى أكثر سيطرة فإبتكروا طقوسا سموها بالأسرار ، وهي الوسائط التي من خلالها تسري نعمة المسيح والروح القدس على الأمة المسيحية ، وبذلك احكموا القبضة على الشعب ، ورأوا أن كل من لا يطبق تلك الأسرار لا يعرف جنة الفردوس ، وكأنه لم يدخل الدين المسيحي أساسا وهي على النحو التالي :

السر	الطريقة والمادة المستعملة	الغرض منه
المعمودية	المسح بالماء	الخلاص من الخطيئة

[1]–جمال الدين الشرقاوي : الكنيسة وأسرارها السبعة ، المرجع السابق ، ص 38.

الميرون	المسح بالزيت	التثبيت في المسيحية
التناول (العشاء الرباني)	أكل الخبز والخمر	العرفان والشكر بالقربان[1]
الاعتراف	الإقرار بالذنب أمام الكاهن	تنقية الذنوب الأرضية
مسحة المرض	المسح بالزيت	الشفاء
الزيجة	صلوات عقد الزواج	التبرك والإحصاء
الكهنوت	صلوات وخلوة 40 يوما	السلطة ومغفرة الخطايا

هذه الأسرار كانت لأجل السيطرة على الشعب الكنسي" فلا إيمان بدون الوقوع بين براثن تلك الأسرار فمن لم يتعمدوا بمسح الميرون لا نصيب له في المسيحية ودين الكنيسة، ولا خلاص ومغفرة الذنوب بدون الاعتراف أمام كاهن الكنيسة، فالكاهن هو الوحيد الذي يستطيع منح الخلاص ومغفرة الذنوب"[2] تعد هذه سيطرة كاملة خصت الجانب الروحي والعقائدي لكل مؤمن مسيحي يخضع للكنيسة .

أما التشريعات والقوانين التي تحكم الكنيسة فهي جل" ما وضعته وتضعه المجالس الكنسية من شرائع وأنظمة، تحدد واجبات وحقوق خدام الكنيسة الروحيين وعمالها وأعضائها في علاقاتهم المتبادلة وهي شريعة وضعية يجب التمييز بينها وبين الشريعة الوضعية المدنية للجماعات السياسية"[3] وبذلك إن معظم تشريعاتهم ليست من عند الله، بل هي من افتراضاتهم

---

1 – Ernest Renan, vie de jésus , Ibid. , page 201.

2– جمال الدين الشرقاوي : الكنيسة وأسرارها السبعة ، المرجع السابق ، ص ص177.

3– حنانيا إلياس كساب : مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين المسيحية الجامعة ، المرجع السابق ، ص35.

الخاصة، وهي ليست مصالح مرسلة بل تخدم البابوات فقط ، ويعد أول مجمع حررت فيه القوانين الإيمانية، والتي تسير عليها الأمة المسيحية كان مجمع **نيقية** ، وهو المجمع الذي عقد في نيقية حوالي العام 325م ، بطلب من الحاكم قسطنطين الكبير والبابا سلفتروس، وقد سبقته مجمعات أخرى، ولكن هو كان ضمن المجامع التي حددت فيها الوظائف الكنسية واتخذ فيه قرارات تخص الهراطقة وطريقة دحضهم ، وحددت فيه المهام السياسية والدينية لكلا الطرفين الدولة والكنيسة ، وتم فيه التفاهم وإعلان التسامح بين الوثنيين والمسيحيين .

ب/ سلطة الكنيسة:

في حوالي القرن الرابع ميلادي بعد انتشار المسيحية في اغلب بقاع روما ، أدرك حكامها أنه لا جدوى من التعامل معهم بالعنف ، لأنهم كثرة ، والكثرة تجلب التمرد السياسي والعصيان ، وكان ملجأهم الوحيد الكنيسة التي أصبحت المأوى والملهم الروحي لهم ، ولما كثرت نصرة الدين كان لا بد للكنيسة من التعامل مع الواقع بجدية ، أي لابد من النظر إلى حال هؤلاء التابعين ماديا واجتماعيا ،فأعلنت الولاء والتضامن مع الحكومة السياسية آنذاك وأعلن التسامح بين الأطراف المسيحية ، والحكومة الرومانية ، إلى حين حكم قسطنطين ومنح لهم كامل الحقوق بل أعلن دينهم دينا رسميا في روما ، مقابل التنازل عن شيء من التعصب والحزم الذي عرفوا به " فقد كانت تظن نفسها أنها موضع الحقيقة الإلهية وتظن أن

كل وثني عميل للشيطان" [1] في آخر المطاف خضعت الكنيسة لمبدأ التحاور والتعايش السلمي.

استغلت السلطة القيصرية من طرف حكام الكنيسة لزيادة النفوذ ، والدفاع عن الدين المسيحي وردع الهراطقة ، وحماية ممتلكات الكنيسة ، فكان رضوخ الدولة للكنيسة والتفاهم معها لشراء سلم العامة ، والتحالف لأجل بداية سلطة جديدة ، بمعنى أنهم استمدوا القوة من القيصر لضمان سيطرتهم مستقبلا ، بعد أن زادوا الولاء له ، وكل من يتبعهم .

عملت الكنيسة وهي الممثل الشرعي للشعب المسيحي لبناء أطر نظامية يخضع لها كامل أتباع الكنيسة ، وتساعدها في توفير حاجياتها منها الشؤون الاقتصادية ، والمالية والسياسية لضمان حريتها الخاصة والعامة داخل الإمبراطورية الرومانية ، ومن هذا المبدأ كان لابد من أن تحشر نفسها في السياسة الرومانية ، وتعيش كذبة السياسة بشعار السلطان الإلهي للكنيسة ، أي للكنيسة صلاحية التدبير السياسي ، وضمان حقوق المجتمع المسيحي داخل الأطر النظامية الخاصة بالدولة الرومانية ، وبالتعاون مع السلطة القيصرية.

أصبحت الكنيسة جنبا إلى جنب مع الدولة الرومانية في التسيير السلطوي، بل إنها اندمجت ضمن المؤسسات العامة كمؤسسة دينية ، لها الحق في التحكم في الجانب الروحي والديني والأخلاقي ، وسعت إلى أن تكون الوريث السياسي للسلطة آنذاك، ولكن بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية ، كثرت الفرق داخل الدين الواحد ، وعرفت المسيحية أزمات عدة .

---

[1]– شارل جينبر : المسيحية نشأتها وتطوها ، ترجمة عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية ، (د.ط) ، بلبنان ، ص173.

تمتعت الكنيسة بسلطات مادية ومعنوية ساعدتها على زيادة النفوذ وهي على النحو التالي :

1- السلطة الدينية: هي سلطة أعطاها رجال الكنيسة لأنفسهم ، هي حقهم في التشريع وسن القوانين بإرادة من الله ، واستندوا إلى قول المسيح " وأعطيتك مفاتيح السموات فكل ما تربط على الأرض يكون مربوطا في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محولا في السموات "[1] وبدأ الكنهة في التفسير غير منطقي ، ورأوا أن معنى كلمة المفاتيح هي السلطة إذ دل على ذلك عند اليهود ، وذلك تأويل لغوي ظاهر ، واستعانوا بكثير من الأمثلة من الكتاب المقدس لتقوية شرعيتهم وزيادة نفوذهم .

اتفق معظم الآباء أن سلطتهم تأتي من عند المسيح ، لأنهم خدام دينه ومبشروه، وأعلنوا التشريعات المسيحية المستحدثة ، وزعموا أنهم قد استشاروا الروح القدس، وقد منحهم العصمة من الخطأ وكان هذا لأجل " محاولة معالجة ما يقع فيه قادة الكنيسة من أخطاء وسوء تصريف الأمور الخاصة بالكنيسة وأتباعها "[2] وزيادة تأويل الإنجيل على حسب أهوائهم الخاصة ، لخدمة مصالحهم المشتركة .

2- السلطة الاقتصادية المالية: الشيء الذي ساعد أيضا في زيادة سلطة الكنيسة، هي قدرتها على امتلاك اقطاعات عقارية كبيرة ، وتزايد الأموال بفضل الهدايا والهبات والمنح التي تأتي من عند الشعب المسيحي ، حيث أصبحت " واجبا على المؤمنين بها ، وذلك

---

[1]- سفر متى الإصحاح 19/ 16 .

[2]- عادل درويش : الكنيسة أسرارها وطقوسها ، دار ابن حزم ، ط1، القاهرة ، 2012 م ، ص90.

ليستعينوا بها على العبادات الإلهية والخدمة الكنسية – في رأيهم– ولخدمة رجال الدين الذين يقومون بالأعمال الكنسية "[1] وكأن عبادة الله تحتاج المال ، بل إنهم سيطروا على ممتلكات العامة وخاصة منهم الجنود ، الذين إذا ذهبوا إلى الحرب أوهموهم أن أموالهم محفوظة في الكنائس فإذا لم يرجع ، استولوا على تلك الأموال، وقالوا لأهاليهم فدية لغفران ذنوبهم .

كذلك قدرة الكنيسة على مساعدة الضعفاء ماديا زاد من شعبيتها ونفوذها ، وإعفاء القيصر الكنائس من الضرائب جعل البابوات من أغنياء الإمبراطورية ، واستطاعوا بذلك شراء أفئدة الناس بواسطة المال ، وبالمال تقوى الكنيسة ويزيد تفاهمها مع الدولة القيصرية.

3– السلطة السياسية: يعد الإمبراطور قسطنطين أول من فتح لخلفائه من بعده ، باب القيصرية البابوبة ، وقد ساند السلطة الكنسية أكثر من اللازم ، لأنه كان يظن أنه سيجد لرعيته " العقيدة التي يجب عليهم إتباعها دون مناقشة" [2]وبذلك ضمن السلام وزاد نفوذه ولكن كان العكس بأن منح للبابوات صلاحيات لا تليق برتبهم ، لأنهم امتلكوا سلطة أعظم من سلطته من قبل وهي الروحية ، وقد زادهم اهتمام الإمبراطور بهم قوة اشد ، بل إن الشعب الروماني أيقن أنه لابد أن نتبع دين إمبراطور البلاد .

حاولت الكنيسة فيما بعد الاستقلال عن الدولة بعدما كان القيصر يعين الأساقفة ، وهذا ما كان لهم ، وأصبح الحاكم يخدم الكنيسة لضمان بقاءه على كرسي الحكم ، ولزيادة اعتقاد

---

[1] – المرجع نفسه ، ص69.

[2]– المرجع السابق ، ص110.

الشعب أن الكنيسة تملك الاستقامة الروحية والأخلاقية ، وانتماء الملك لها يضفي عليه تلك الأوصاف وبذلك يكون عدله عدلا شاملا .

الأكيد أن زيادة نفوذ البابوات كان نتيجة ضعف قوة الإمبراطورية وانهيارها في جميع الجوانب ، وزيادة نفوذ الكنيسة بفضل نماء قدراتهم المادية وكثرة الأتباع ، وظهور شخصيات قوية ساعدت على رد العدوان على الدين المسيحي ، بل وصل الأمر بهم إلى تجهيز جيش لحماية الكنائس والرعايا المسيحية.

كل هذه الظروف جعلت المجتمعات الغربية " تغيب حريتها في ظل الولاء الأعمى للقيصر والقسيس ، واغتربت الكلمة واللوغوس التي لم تعد في البدء، بل أصبحت الكلمة مكيفة حسب تعاليم ومنطق الكنيسة "[1] ونتج عن ذلك عداء لم يعرف من قبل ، غير مسار الفكر السياسي الديني.

استطاعت المجتمعات الأوربية في عصر الأنوار وما يليه من التخلص من تلك القيود التي فرضتها الكنيسة بإسم الشريعة المسيحية ، وبإسم سلطانهم المستمد من عند الله ، ومن كتابه المقدس ، وعلى العكس من ذلك فقد رأى المصلحون في عصر الأنوار أن آباء الكنائس بشر مثلنا يطبق عليهم القانون الوضعي ، والشريعة الدينية ، ولا دخل لتلك الحصانة الكنسية التي وضعوها لأنفسهم " لأنها لا تملك أي سلطة آو حق على أي شيء

---

[1] – عفيان محمد: نظرية الدولة عند القديس أوغسطين بين أوهام المدينة الأرضية وشروط النهضة الروحية، مجلة متون العدد 11 – 12، تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة سعيدة ، الجزائر، دار القدس العربي، بوهران، افريل 2016، ص285.

ولن يكون لها الإرادة أو العقل أو الصوت ، لأنها كلها من صفات الأشخاص"[1] أي كل مشرعيها هم من البشر ، ولا سلطان لبشري على بشري وإنما سلطان الله على عبده صلة خاصة به لوحده ، ولا دخل لأي واحد على الأخر.

قد أبطلت فكرة الكنيسة العالمية التي تسيطر على باقي الكنائس في العالم ، ولابد لتشريعات الكنائس أن يكون مصدرها الكتاب المقدس ، وأن تبتعد عن الملوك والقياصرة " لأنهم ذوي سلطة مطلقة كل منهم مفوض من عند الله" [2] مباشرة ولا يوجد وساطة بينه وبين الرب ، وللملك صلاحية محاكمة وإدانة وعزل رجال الكنيسة ، وكل ما يراه الملك ضروريا لصلاح العامة فهو مناسب .

سلطة رجال الدين معارضة للسياسة والحكم المدني ، وليس لديهم أية سلطة تقتضي بإمتلاكهم القوة لزيادة أتباع الدين المسيحي ، بل مهمتهم تقوم على " حمل الناس على الإيمان وعلى ترسيخ ثقتهم بالمسيح ، والإيمان لا يرتبط بالإكراه ولا بالإمرة ، ولا يقوم عليهما بل يرتبط فقط باليقين والإثباتات المستخلصة من المنطق ،أو بما يؤمن به البشر مسبقا وبالتالي ليس لكهنة المسيح أي سلطة في هذا العالم ، في معاقبة أي شخص لا يؤمن بما يقولون أو يعارضهم الرأي"[3] بل إن ليس لديهم أي سلطة مدنية أساسا للمعاقبة .

---

[1] – توماس هوبز : اللقياتان ، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، ترجمة ديانا حبيب حرب ، دار كلمة ، ط1، الإمارات العربية المتحدة ، 2011 م ، ص384.

[2] – المرجع السابق، ص384.

[3] – المرجع نفسه، ص– ص 483– 484 .

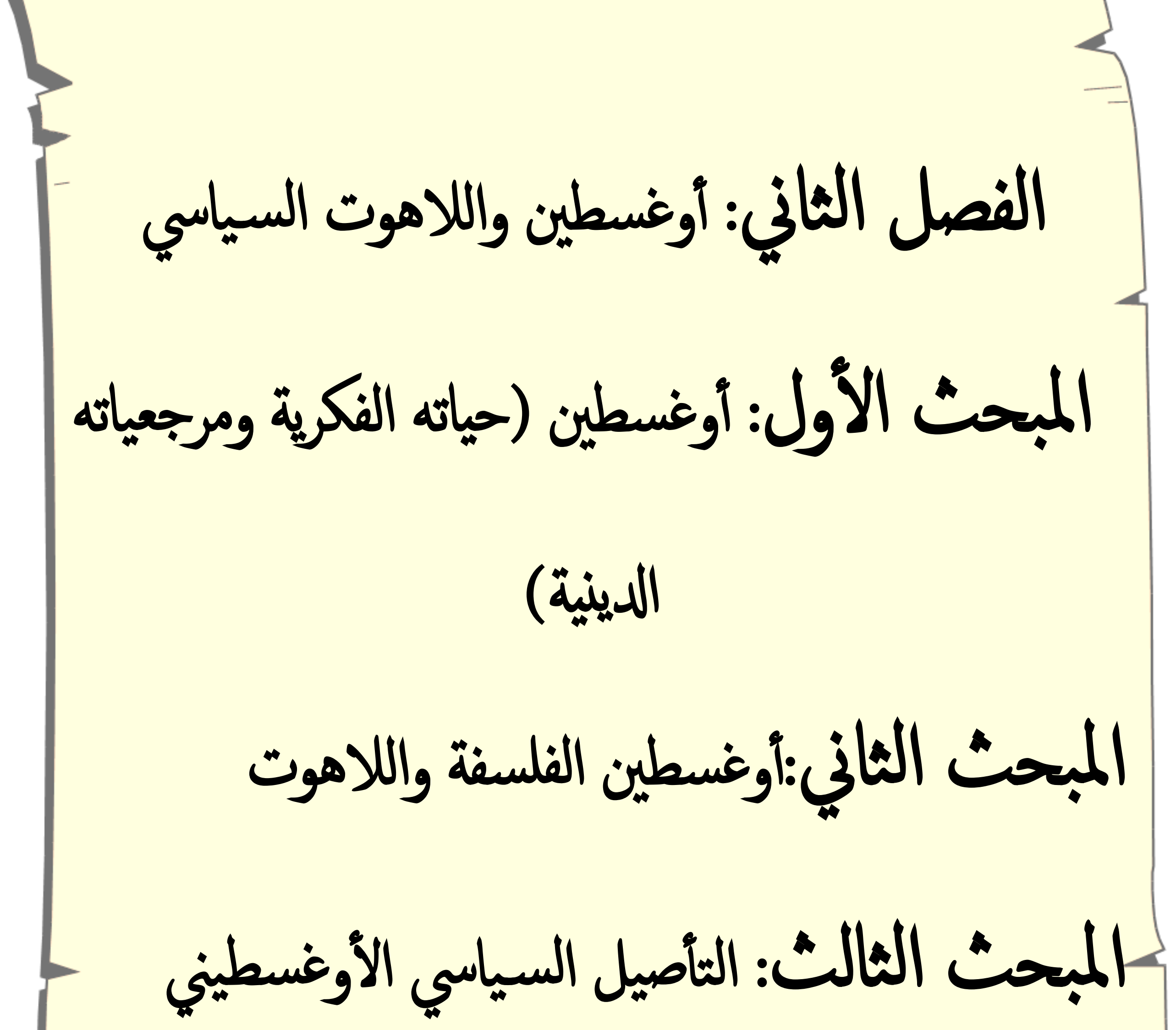
الأمر واضح في الكتاب المقدس إن للحكام كل السلطة " اخضعوا لكل نظام بشري من اجل الرب، للملك على انه السلطان الأكبر وللحكام على أن لهم التفويض منه أن يعاقبوا فاعل الشر ويثنوا على فاعل الخير ، لأن مشيئة الله في أن تعملوا الخير فتفحموا جهالة الأغبياء"[1] وبذلك حاول مفكروا عصر الأنوار التفرقة بين الدولة والكنيسة ، وإسناد معالم السلطة والحكم للقيصر ، وكل ما هو ضروري للخلاص متوفر في إتباع المسيح وإطاعة القوانين المدنية.

في الأخير الشيء الذي عرف عن الدين المسيحي أنه استمد قوته الفكرية من تعاليمه ومن جملة الطقوس التي استحدثت، أما الفكر اللاهوتي يعد أول مرحلة يتعرف فيها المؤمن على ربه ويدحض بها الشك الذي في قلبه ، وهذه المنطلقات كلها ساعدت السلطة الكنسية آنذاك وفتحت آفاقا جديدة لسلطة دينية كنسية مستمرة في العصور الوسطى ، وهذا مما جعل توافق الدولة مع الكنيسة أمرا مقبول وغير مستبعد، لأن المصالح تشترك تحت راية حماية الدين المسيحي.

أما العلاقة بين الدين المسيحي والسياسة كانت علاقة بدايتها متوترة ولكن سرعان ما وجدت سبل التفاهم والتوافق والانسجام ، ذلك لأن هناك مصلحة بين الطرفين وهي استمرارية السلطة لكل طرف ، بعدما تخلى كل طرف عن مبادئه الجوهرية ، فتخلى البابوات عن روحانيتهم التي تعارض السياسية أساسا ، وتخلى القيصر عن عقائده الوثنية إلى جانب

[1]- رسالة القديس بولس إلى طيطس 3: 1 .

شراكة البابوات في السلطة الروحية الأخلاقية داخل المجتمعات، وشكلوا عقدا يضمن استمرارية كل سلطة داخل الإمبراطورية الرومانية.



الفصل الثاني: أوغسطين واللاهوت السياسي

المبحث الأول: أوغسطين (حياته الفكرية ومرجعياته الدينية)

المبحث الثاني:أوغسطين الفلسفة واللاهوت

المبحث الثالث: التأصيل السياسي الأوغسطيني

يعد العصر الوسيط في أوروبا فترة فكرية ساعدت على النهضة مستقبلا ، وكان الدين المسيحي له الدور الكبير في جميع التحولات التي عرفت بصفته الممثل الشرعي والدين الرسمي لأوروبا آنذاك ، والسبب في تغير جل التصورات السياسية التي غيرت مسار أوروبا كاملة.

ويعد القديس أوغسطين(San Augustine) أحد قديسي الكنيسة الذي كانت له وجهات نظر دينية سياسية وهي التي ساعدته في شهرته ، بل استطاع العالم من بعده أن يتعرف عليه بفضل أفكاره السياسية، والتي جسدت مدى توافق مبادئه الدينية اللاهوتية مع مقومات السلطة آنذاك واستطاع بذلك أن يجد لنفسه مكانا ضمن قائمة رواد الفكر الفلسفي السياسي العالمي.

إن فكر أوغسطين السياسي الديني عامة يقوم على ما تعلمه من حياته الدينية والفكرية ، وقد انعكست في كتاباته لاحقا ، أما سياسيته الدينية فقد وفقت بين روحه الدينية اللاهوتية التي ساعدته على الدفاع عن الدين المسيحي ، وبين مواقفه السياسية التي كان لها الأثر البالغ فيما على السلطة الكنسية عامة في ما بعد فعلى أي أساس استطاع القديس أوغسطين أن يوفق بين نزعته اللاهوتية الدفاعية وبين معالم الفكر السياسي آنذاك؟

المبحث الأول: أوغسطين (حياته الفكرية ومرجعياته الدينية)

1- من الخطيئة إلى الكهانة:

أوراليوس أوغسطينوس أو سان أوغسطين (San Augustine) "ولد في 13 نوفمبر 354 في تاغشطا في بلدة من نوميديا المعروفة اليوم **بسوق أهراس** (الجزائر)"[1] من أب اسمه باتريكيوس الوثني في شبابه مسيحي في شيخوخته متوسط الحال، أمه **مونيكا** مسيحية الديانة ، هو الأخ الأصغر بين إخوته الثلاث ، عرف بميله إلى الرذائل والمجون والشر في صغره إلى شبابه درس في بلدته عندما كان صغيرا ، لكن بعد بلوغه السنة السادسة عشر من عمره عجز والديه على إكمال دراسة ابنهم في "عاصمة إفريقيا قرطاج"[2] الذي تحول خلال تلك في الفترة إلى حياة اللهو والفواحش و إلتهى بأقدس المحرمات .

فيما بعد تعرف على فتاة وأنجب منها ابنا اسمه "(ايديودات) كأول خطيئة في حياته مخالفة لما ربته أمه عليه"[3] انفرج الحال وعاد إلى المدرسة والتحق بالجامعة فتعلم فن الخطابة والبيان وكذا المحاماة حيث كره ما تعلم من فن المحاماة إذ قال: " **نجاح المرء في المحاماة مرهون بكذبه ونفاقه**" في تلك المرحلة اعتنق المانوية والتي عرفها عن طريق معلمها فوستوس آنذاك وقد اتبعها لغاية في نفسه وهي ملأ الفجوة الدينية التي يعيشها من جهة والبقاء في العبث والتنعم بالشهوات ، ولكنه كان غير راض على ما هو عليه إذ قال

1– القديس أوغسطين : الاعترافات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، الطبعة 4 ، بلبنان ، 1991م، ص1.

2 – voltaire , dictionnaire philosophique , le chasseur abstrait , Espagne ,2004 , page 359.

3– علي زيعور : أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، دار إقرأ، ط 1 ، بلبنان ، 1983م ، ص 100.

أوغسطين : " **يا رب أعطيني الوداعة والعفة لكن ليس الآن** "[1] أي إنه كان يدرك ولو القليل أن الدين الحق من يكبح الإنسان عن شهوته وينال منه العفة واستمر الآمر على ما هو عليه.

عاد وزوجته إلى مسقط رأسه وعمل على أن يربي إبنه أفضل تربية ، فإتسم ابنه بحدة الذكاء والفطنة ، وفيما بعد قرر العودة إلى قرطاج ليعلم هناك الخطابة والبيان وبإقتراح من طلبته قرر اللجوء إلى روما ليكمل تدريس الخطابة وتعرف على فلسفة **أفلوطين** هناك في عمر يناهز التاسع والعشرين من حياته ، بعدما أوهم أمه أنه يودع احد أصدقائه ورحل إلى **روما** وتركها تتحسر غيبة ابنها ، وحين وصوله اشتد عليه المرض أصيب بالملاريا واستعاد عافيته بعد وقت ، واحتاج احد ملوك **ميلانو** مدرس للبيان فاستدعي إلى تلك المهمة .

بعد ذلك إلتقى في تلك الفترة بأسقف ميلانو "**امبروزيوس** فأعجب به واستأن به والذي هو بذاته شمله بعطفه ، ورأى فيه مميزات الرجل البليغ بخطابته"[2]، في هذه الفترة التحقت به أمه إلى ميلانو وألحت عليه أن يترك فتاة الزنا ، ولب لها رغبتها ولكنه تزوج فتاة أخرى وتركها من جديد ، هذا يدل على أنه مازال يعايش أهوائه القديمة وتصرفاته التي حاولت أمه أن تجنبه إياها إضافة إلى جلسات الأسقف التي حركت في نفسه شغف الكشف ، والبحث عن حقائق الدين المسيحي.

---

[1]- القديس أوغسطين: موعظة على الجبل ، ترجمة القس بشرى كامل ، مطبعة الكرنك ، (د.ط) ، الإسكندرية ، 1962 م ، ص14.

[2]- المصدر نفسه ، ص15.

بدأت بوادر إعادة بناء مرحلة جديدة في حياة القديس أوغسطين والتي عرفت بإرتيابية فكره آنذاك ، إذ مثلا كان يعرف أن فكرة خطيئة آدم غير موروثة وعندما سمع للأسقف اختلف عن ما كان يعتقده ، ولفت انتباهه العقيدة الكاثوليكية للديانة المسيحية إلى فترة ما لكنه أبى إلا أن يتجه نحو الإيمان بمعتقدات الدين التوحيدي ، لأن رجلا مثل أوغسطين لابد له من تفكير مطول لكي يستوعب شيئا ما ، وكان ذلك أن توجه إلى بلدة قرب ميلانو في عزلة تامة في مدينة كسيسيكاكوم بالتأمل وإعادة النظر في حياته الماضية، والتي نتعرف عليه من خلال كتابه "الاعترافات" التي دونها في الفصول الأولى والتي عرفت "بالضجر والقلق وحالة التمزق الداخلي التي عان منها سابقا"[1]، وبعدها قرر الدخول إلى المسيحية الكاثوليكية.

في عام 382 م وفي بحث أوغسطين عن الحقيقة التي كان يرجوها " اطلع على رسائل **بولس الرسول**"[2] التي رأى فيها التوفيق بين العصرين القديم والجديد ، وخلال ذلك بينما كان مع صديقه أليبوس إلتقى مع احد حكماء المدينة بينسيانس ، إذ حكى له أن حاكمين في الدولة الرومانية قد تخليا عن منصبيهما خلال تعرفهما على القديس انطونيوس المصري إذ تركا كل شيء ، وصارا منوال الرهبنة والمسيحية ، فبدأ يراجع نفسه ويبكي عن ما آل إليه وحين ذلك سمع أحد الصبية ، كان سببا في توبته الأبدية عن الخطايا والرذائل إذ سمعه

---

[1]– بيتر كونزمان فرانز واخرون : أطلس الفلسفة ، ترجمة جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، ط2 ، 2007 م ، ص 69.

[2] –Claude–Henry du Bord, Le grande livre de la Philosophie Histoire des idées en Occident, Groupe Eyrolles, paris, 2016, Page 57.

يقول:" خذ واقرأ خذ واقرأ... فأذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ويكون لك كنز في السماء واتبعني " فتذكر شيئا أن انطونيوس عندما يسمع كلاما غير معروف المصدر فهو موجه له.

ففتح كتاب بولس الرسول (**رسائل بولس**) وإذ به يجد كلاما وكأنه مقصود له يقول: " لا تسلكوا طريق الشراهة والسكر والفواحش ، بل البسوا الرب اليسوع المسيح ولا تهتموا بشهوات أجسادكم "[1]عندها فهم الموقف الذي انحدرت له نفسه الشهوانية ، وأعلن التوبة الحقة مع صديقه ورضخ لعناية الرب.

وفي عام 387 م تأهب لنيل **العماد** أي عندما وصل إلى سن الثالثة والثلاثون وقد كتب إلى الأسقف **امبروسيوس** لكي يبشره ، وفي يوم من **أيام الصفح** اعتمد على يد الأسقف هو وابنه وصديقه ، وكانت فرحة الأم لا تسعها لا الأرض ولا السماء ، إذ كان حلمها الأول والأخير، وبعد ذلك قرر الرجوع إلى وطنه مسقط رأسه ، لكن وفاة أمه اجل ذلك إلى سنوات وهذه الفترة من حياته حارب فيها العقائد المانوية في روما ، ويحذر الشعب الروماني من شرائع المانوية وزادت محنته بعدما توفي إبنه في الثامنة عشر من عمره.

في عام 391 م قرر في آخر المطاف العودة إلى موطنه حيث ذهب إلى مدينة هيبون مدينة عنابة حاليا (الجزائر) لنجدة كاثوليك المدينة من هجمات الدوناتيين الكلامية وقدموه إلى "مرتبة الكهنوتية مساعدا للأسقف ، وبعد خمس سنوات عين مكانه بعد موت الأسقف للكنيسة الأبرشية"[2] وبقي في منصبة طيلة حياته.

---

[1]– القديس أوغسطين : موعظة على الجبل ، المصدر السابق، ص. ص 20– 22.

[2] – Claude Laurin, pour saint Augustin, Paris, édition grasset et fasquelle .1988, page 84.

في 28 أوت 430 م وفي الشهر الثالث من حصار الوندال البربر للمدينة ، "وقد بلغ أوغسطين 76 سنة مرض وانتقل إلى الحياة الأخرى"[1] ، إلى رحمة ربه ، وكان آخر طلب في حياته أن تكتب مزامير التوبة على الحائط المجاور لسريره، فكان يقرأها والدموع تسيل قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، بعدما ترك لنا ثروة معرفية ضاع منها القليل ووصل الكثير.[2]

2- تراثه الفكـــــري:

إن أعمال أوغسطين الفكرية ومدوناته الرئيسية كانت موجهة اغلبها للمسيحية أو لبغية كان يستشفها ، وهي رد الضرر الذي لحق بالدين المسيحي، والتي بينها من خلال موقفه الدفاعي ،

وأعماله وجهت أيضا إلى الوثنيين لرد شكهم بالدين المسيحي، وإدخال الريبة والشك في نفوسهم لكي يعم القليل من الإيمان في قلوبهم عند كل تفسير أو تأويل لإحدى رسائله الموجهة لهم ، وقد دافع عن الفلسفة التي وجد فيها الضالة الوحيدة التي تقدم له تبريرات عن أحكام الكتاب المقدس، التي تثير جام غضب الوثنيين عليهم، وذلك من خلال الفهم والتأويل العقلي ، وقد قصد بها أيضا الطالب الذي استبصر الحقيقة الإيمانية لكي يدرك مضمون التوبة من الخطيئة .

وفهمنا لأعمال أوغسطين يندرج ضمن جزئية واحدة أن تدرك المعنى الخفي وليس الواضح ، وقد قال ذلك في رسالته " ضد الأكاذيب " :" **إن إخفاء الحقيقة لا يعني أن نقول**

---

[1]- بلعابد مريم : المدينة عند القديس أوغسطين " دراسة مقارنة بين المدينة السماوية والمدينة الأرضية " مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة عامة ، بجامعة مولاي الطاهر سعيدة ، الجزائر ، للموسم الجامعي 2015/2014 ، ص 14.

الكذب بل إن كل كذاب يكتب لكي يخفي الحقيقة لكن ليس كل شخص يخفي الحقيقة هو كذاب لأننا في الغالب لا نخفي الحقيقة عن طريق الكذب فحسب ، ولكن بأن نضل صامتين ... ولذلك فإنه من المسموح للمتكلم أن يبدي رأيا في مسائل دنيوية تخص إصلاح الدين والورع "[1] معنى ذلك أن بعض أفكاره قد تكون مستترة مخفاة في ثنايا اسطر اللغة وذلك لغاية خدمة الدين والصالح العام في رأيه ، وإختلافنا في الفهم درجة من الإيمان.

- أهم المؤلفات وكتب ورسائل أوغسطين:

تاريخ الكتابة	اسم الكتاب	سبب الكتابة	تصنيفه
397 م	الاعترافات	اعترافه بشرور صباه	تاريخ حياته
427 م	الاستدراكات	أسفه على مدحه الأفلاطونيين	
382 م	الرد على الأكاديميين	معالجا مسألة اليقين	مقالاته الفلسفية
387 م	خلود النفس	الأسس النفسية للإيمان	
387 م حتى 389 م	الموسيقى المجلد 6 من نفس الكتاب	أسس تطبيقية للفن الموسيقى في الكنيسة الرد على أفلاطون في الأحكام الرياضية[2]	

---

[1] ليو شتراوس وجوزيف كروبسى: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس حتى اسبينوزا ، ترجمة محمد سيد أحمد ، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2005م ، ص. ص، 267. 268.

[2] هنري تشادويك : أوغسطينوس ، مقدمة صغير جدا ، ترجمة احمد محمد الروبي ، مراجعة هاني فتحي ، دار هنداوي للتعليم والثقافة ،ط1 ، 2016م ، ص52.

389 م	المعلم	محاورة مع ابنه حول جوهر الرب وصلاحه	
313 م حتى 326 م	مدينة الله	مقلات ضد الوثنية وأخرى للتاريخ العام	أعماله الجدلية
392 م	فائدة الثقة	تعليل الديانة ، موجهة لأتباع ماني	كتاباته اللاهوتية[1]
393 م	الإيمان والمبادئ المسيحية		
397 م حتى426 م	التعليم المسيحي		
400 م	التعاليم الأساسية		

[1]- القديس أوغسطين : موعظة على الجبل ، المصدر السابق ، ص.ص، 30- 32.

421 م	عن الإيمان والرجاء	عن محبة الرب	في اللاهوت
388 م	مبادئ المانوية		
392 م	في الروحين		جدليته
	ضد فوستوس" 23 رسالة"	ضد أتباع المانوية	اللاهوتية[1]
397 م	ضد رسالة الأساس		
392 م	ضد الدوناتيين		
400 م	ضد دوناتس		
402 م	اتحاد الكنائس		
406 م	ضد كريسكونيوس	الرد على بدع طائفة الدوناتيين	
	المعمودية الواحدة		
411 م	عن المجمع الدوناتي		
420 م	ضد قودانتياس		
412 م	عن الخطيئة وعماد الأطفال		جدله الطائفي
413 م	عن الروح والحرف		
415 م	عن الطبيعة والنعمة		

[1]– القديس أوغسطين : المصدر السابق، ص– ص، 30– 32.

417 م	عن اعمال بيلاجيوس		
	عن وجود الله		
417 م	عن نعمة المسيح والخطيئة الأصلية	ضد البيلاجيين[1]	
426 م	عن النعمة وحرية الإدارة		
427 م	ضد الغيب		
429 م	نعمة المثابرة		
495 م	عن الإكتفاء		
396 م	عن المسابقات المسيحية والبطولية	ضد الوثنيين	جدله الطائفي
396 م	عن المسابقات المسيحية والبطولية		
400 م	كسل الرهبان		
387 م حتى 394 م	أطروحة أصل الشر والحرية	كتبها بغية توضيح حرية الإرادة[2]	لاهوت الفلسفة

1- المصدر السابق، ص33

2- هنري تشادويك : أوغسطينوس مقدمة صغير جدا ، المرجع السابق، ص45

400 م حتى 416 م	كتاب الثالوث	يشرح فيها العقيدة [1]	
393 م	شرح سفر التكوين		
380 م حتى 381 م	في الجمال واللياقة		كتاباته الأولى

كما له مؤلفات ورسائل مهمة لكن لا نعلم سنوات تدوينها منها:

1- **مجمع الأرباب:** فيه رد أوغسطين على" الذين انتقدوا الديانة المسيحية أثناء صراعها مع الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتقد في الأرباب القدامى" .[2]

2- **طبيعة الله:** كتب عن اللاهوت مكملا لما كتب من قبل

3- **موعظة على الجبل:** كتاب عن التأمل والتعبد

4- **عن القيامة:** يتكلم فيه عن مسير الخليقة بعد الموت

وهنالك كتب عديدة ورسائل لم يتم الإشارة إلى تاريخ تدوينها ولا سبب كتابتها فلم اذكرها.

[1]- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،(د. ط) ، 2014م ، ص28.

[2]- -ترانتى وماركوس : مقالات في فلسفة العصور الوسطى ، ترجمة ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية، (د..ط) 1998م، ص12.

3- مرجعياته الدينية والفكرية:

- تأثره بالمانوية:

كانت بداية قراءات أوغسطين للكتاب المقدس الذي ظن أنه مجرد مدونة لغير المثقفين وظنا منه أنه بلاغيا ونحويا ركيك اللغة ، ضعيف المعنى وهذا لإمتلاكه ملكة الفقه والبيان واعتقد أن الحقيقة توجد في كتب شيشرون وحكمته ، وبين ذاك وذاك وقع في شرك العقيدة المانوية التي تعد في الأصل خليط من الشعائر الدينية المسيحية والوثنية ، إذ أسست على يد ماني بن فانك الذي ولد **بالمدائن** بفارس (**إيران** حاليا) سنة 215م ، وجعل دينه مزيجا بين الأديان الشائعة في زمنه وتم إعدامه عام 276 م من طرف رجال الدين بوصية إلى حاكم فارس آنذاك ، ولكن أفكاره لم تمت بل بقيت متداولة في الأطراف ومضت إلى ابعد مما كان متوقع ، إذ بلغت روما ، والصين ، وشمال إفريقيا وحتى مصر ومست الديانة القبطية وما لبث القبطيون وإلا ومارسوا عقائدهم إلى اليوم

مبدأ المانوية يدعو إلى التوفيق بين أديان العالم في دين واحد ، فقد تعلم من البوذية واخذ منها والزرادتشية التي استمد منها تقسيم الكون إلى قوتين تحكمه ، "قوة الخير النور وقوة الشر الظلام ورأى في اليهودية دين ضلالة وعنصرية"[1]، واعتبر دين المسيح دين النور وعرفت المانوية بجنح متدينيها إلى العزوف عن الزواج وهذا ما أخذه عنهم رجال الكنيسة .

وكل ما تبناه من الفكر الزرادتشي ليؤكد فكرة الصراع بين الخير والشر بين النور والظلام ، وسيطرة الخير والنور يعني سيطرة الإنسان على النفس وسموه بالروح إلى العالم المثالي ،

---

[1]- سلامه موسى : حرية الفكر بأبطالها في التاريخ ، إدارة الهلال ،(د. ط) ، بمصر،(د . س) ، ص 56.

وذلك عن "طريق الزهد"[1] والشيء الذي اختلفت به الزرادتشية عن المانوية هو أن الزرادتشية "وضعت للشر إلاها يدعى اهريمان والمانوية سمته شيطان لأن الإله مترفع عن الشر ولا يصح وصفه بالظلام والشر"[2]، بل هو مصدر النور والسعادة.

والمانوية تنقسم لطائفتين: المقربين المصطفين الذين حرم عليهم أكل الحيوان ، والزواج أما الطائفة الثانية فيحل لهم الزواج ، وكل هذه العقائد نجدها في الديانات التي بعدها وماني مؤسسها تآمر عليه الزرادتشيون وحكم عليه بالإعدام من طرف حاكم بابل **بهرام** بعدما إدعى النبوة في سن العشرين حيث كان يقول :" الآن أرسلني الله من بابل حتى تصل دعوتي إلى العالم اجمع" [3]وهذا لا يدعوا إلى الغرابة لان دعوته لاقت الترحيب من ملوك عصره وامتدادها طال العالم من شرقه إلى غربه.

وكره المسيحية لهذه الطائفة أن لها فرقة يطلق عليها اسم" الألبيون" اغتالت نائب البابا اونسنت الثالث وأعلن عليهم الحرب، إذ من يجاهد هذه الفرقة أربعين يوما يرفع عنه ربا الديون وتغفر له خطايه السابقة ودعا البابا القديسين لدحض هذه الفرقة والوقوف ضدها وهذا ليس بالشيء الغريب عندما تنكرت "مونيكا" أم القديس أوغسطين لما اعتنق ابنها هذه "الشريعة المضلة في رأيها والتي أثرت فيه كثيرا"[4] ، إذ اعتنقها لمدة تسع سنين منذ (373م

[1]–ياقوت فرعوني : نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين ، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر فلسفة مسيحية ، بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، ببوزريعة الجزائر، للموسم الجامعي 2006/2005 م ، ص 11.

[2]–فراس السواح : دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ، ،منشورات دار علاء الدين، ط 4 ، بسوريا ،2002م ص 104.

[3]– كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة معتقدات آسيوية ، دار الندى، ط1، بمصر ، 1999 م ، ص 138.

[4]- Saint Augustin, Confessions, Introduction et commentaire par Jean-Claude Fraisse, 1ère édition Bibliothèque philosophie, 1989, page 34.

إلى غاية 382م) ظنا منه أنها تمتلك الحكمة والحقيقة التي كان يصبو لها ، إذ قال :"**طوال تلك السنوات التسع الممتدة بين التاسعة عشر والثامنة والعشرين من عمري كنا فريسة لشهوات مختلفة وطورا سرا تحت شعائر الدين الكاذبة**" [1]وبذلك عرف أخيرا خفاياهم واطلع على كتبهم السرية ، وشارك في جميع احتفالاتهم ، وعرف حقيقتهم وذلك بفضل اطلاعه على فلسفة اليونان التي وجدها تمتاز بالدقة والرياضيات بعيدا عن خرافات التنجيم المانوية والأساطير والخرافات التي تتشبع بها هذه الطائفة.

- أوغسطين والفلسفة اليونانية:

أوغسطين عرفت حياته الفكرية حالة مد وجزر، إذ تعرف على عدة مواقف فلسفية من اليونان بعدما ترك المانوية التي ملأت فكره بالخرافات ، والتي حاول التخلي عنها ، فبحث عن البدائل عن طبيعة الخالق الذي أوهمه المانوين أنه مادة حية ، وان النفس جزء من الجسم وبقي في ربية من أمره ، وتعهد على نفسه أن لا يكون ساذجا في بحثه القادم عن الحقيقة والمعرفة التي مازال لم يصل إليها ، وجعل العقل مؤشره في ذلك وكل ما يناسب إيمانه الغريزي بوجود إله مطلق ، تعرف بعد ذلك على كتابات شيشرون التي زادته شكا على شك حيث قال في اعترافاته: "ثم اعتقدت أن الفلاسفة المعروفين بالمحفلين(الأكاديميين) يفوقون حكمة سواهم إذ يقولون الشك بكل شيء واجب والإنسان عاجز عن فهم كل حقيقة

[1]– القديس أوغسطين: الاعترافات ، المصدر السابق ، ص57.

فبدا لي أن تعليمهم هو الصحيح "[1] وهنا يقصد شيشرون وما تعلمه من كتبه ، والتي لم يتعظ بها بما كان بحاجة إليه ، وقرأ أيضا لأفلاطون واهتم به في الجانب الذي فسر فيه المعرفة ومصادرها ، والنفس وتقسيمه للعالم، "وراى انه لم ينخدع مثله"[2] وتبنى مبادئها في نظريته التاريخية واطلع على كتابات **أرسطو** وخاصة كتابه المقولات العشر الذي رأى فيه حكمة هو في غنى عنها ، فقد تناول أرسطو في كتاباته جواهر الكائنات المادية ولم يبلغ إلى المعنى الأسمى للخالق من خلال نظرياته .

لم ينكر أوغسطين الحكمة اليونانية نهائيا بل يظنها أنها كانت سبب في إنقاذه من تراهات المانويين ، واطلاعه على كتب اليونانيين مكنه من معرفة حقائق علمية منطقية، إذ وصل والى الخالق الواحد وبحذقتهم وذكائهم اكتشفوا أمورا عدة تحطم الأسطورة في المسائل الفلكية مثل " اكتشافهم للكسوف والخسوف ، وبرعوا في الحساب"[3]، المشكل الوحيد أنهم بقوا خارج مجال التقوى.

- تأثره بالأفلاطونية المحدثة:

كانت كتب أفلوطين(204م-270م) ورسائله الملجأ الآخر لأوغسطين التي نصحه بها أحد أصدقائه عام 386م في البحث عن الحقائق الروحية التي استمدها منه ، في نظريته فيض الواحد بفضل كماله ،فقد قربته هذه المعارف" إلى المسيحية العرفانية وهذا دليل على

[1] - المصدر السابق، ص91.

[2]- Saint Augustin, Confessions, Ibid. page 35.

[3]- القديس أوغسطين: الاعترافات ، المصدر السابق، ص80.

أنه كانت له القابلية إلى التدين والخضوع للمسيحية" [1] ، إذ تعلم من الأفلاطونية الجديدة أن الله روح ، وإنه الكينونة والخير يقول في ذلك :"**وما أدركت إن الله روح ، لا جسم له، وليس له أعضاء تقاس طولا وعرضا**" وانصرف عن ذهن أوغسطين معضلة الشر وبقيت عنده معضلة المسيح المخلص التي حلها من خلال رسائل القديس **بولس الرسول**.[2]

فلسفة أفلوطين صاغت مبادئ ميتافيزيقية مثالية في إدراكها للإله الواحد بصفة دقيقة وعبرت عن فلسفة روحية ، إذ استمد أوغسطين من أفلوطين حكمة مفادها ، أن الله نور لم يولد و لا هو من لحم ولا من دم ، والنفس الإنسانية تأخذ منه الحكمة الأزلية التي تتوق كل نفس إليها للوصول إلى السعادة، لأن أفلوطين يرى فيها أن النفس تهبط إلى عالم الحس والتي أخذها من أفلاطون ، إذ أن النفس هبوطها بسبب إثم أو خطيئة ، وهو سبب معقول وتعد النفس من بين تلك الإنبثاقات عن الواحد كفيض ، مثلا النور من الشمس وانبثاق العقل عن ذات الله ن وهو صورته في هذا العالم ، وعنه تصدر النفس ، وأول ما تدركه هذه الأخيرة الموجودات الخارجية إلا أن ترقى إلى مرتبة الحكمة ، وتعي بذلك ذاتها بالتعقل واعتمادها على العقل الإلهي ، وتستمد نور الله الواحد الذي تنبثق منه جميع الأشياء، وان النفس والعقل الإلهي يتصفان بالوحدة ، "شرط أن تتجرد من كل المحسوسات وخصائص الواحد تخلو من كل نقص"،[3] وهذا ما جعل أوغسطين يرى في الأفلاطونية المحدثة عودة أفلاطون الذي يعد اشد عمقا وعقلانية في تفسيره ، لخالق هذا الكون وطبيعة فلسفته المثالية

[1]– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، المرجع السابق ، ص26.

[2]– حنا الفاخوري وآخرون : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، المرجع السابق ، ص 732.

[3]– ماجد فخري : تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس ، المرجع السابق، ص.ص 193-197.

التي تعبر عن الفضيلة والخير ، وثنائية العالم والجدل الذي استمده منه في نظرية العناية الإلهية .

المبحث الثاني: أوغسطين الفلسفة واللاهوت

1- فلسفة أوغسطين:

1- بين الفلسفة والإيمان:

كتب أوغسطين في بداية الأمر لاهوتيا على خلاف ما عرف عليه أنه فيلسوف محض بل بزغت فلسفته في مناظراته الفكرية ، وفي دفاعه عن الدين المسيحي ، وقلما نجده يشير إلى نفسه على أنه فيلسوف وهذا لا يدعو إلى الحيرة والدهشة لأن أوغسطين دقق في مسائل عدة كأنه يعالجها بصورة فلسفية .

ومن خلال تلك الآراء الأوغسطينية نستطيع أن نحلل موقفه الفلسفي اتجاه تلك المسائل – بإختلافها – وطبيعة فكره تفرض ذلك ، إذ أنه يوما ما لم يفصل بين اللاهوت والفلسفة واعتبرها وحدة مركبة تفسر أي ظاهرة أو مسألة أيا كانت ، وقد اهتدى في بداية الأمر إلى حتمية الرؤية الفلسفية من "خلال الكتاب المقدس[1]" الذي نظر إليه على أنه المصدر النهائي للحقيقة التي تخص الإنسان بوجه عام.

رجال الدين المسيحيين بحثوا في المسائل الدينية بحرية كبيرة ، مما أتاح لهم فيما بعد التنظير لمواقف خدمت الكنيسة ، على خلاف ما كان في الديانة اليهودية وهذا التوجه تمسك به جل رجال الدين المسيحيين لكي يحققوا غاية في أنفسهم ،وهي الوصول إلى السلطة وأكدوا على ضرورة التحلي بالإيمان كمعيار أسمى وهو مرشد في الحياة ولا يكمن التخلي عنه وعلاقة الفلسفة بالإيمان كانت علاقة تتدرج ضمن خاصية ايجابية، "أنها تجعل غير

[1]– ليو شتراوس وجوزيف كروبسى: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس حتى سبينوزا ، المرجع السابق ، ص 263.

المؤمن يكمل دينه بإيمانه عن طريق الوحي والمعرفة الروحية والتحليل العقلي"[1] ، وحتى الإيمان بذاته يبحث عن فهم مكمل لمبادئه عن طريق العقل ، وقد برهن أوغسطين عل تجربته الفلسفية في مسألة الإيمان إنه من خلاله يستطيع المؤمن المسيحي أن يؤسس لمفهوم معقول لغير المؤمن ، يدافع به عن الدين المسيحي ويرد به على **الهراطقة** الذين أثروا على اللاهوت والمعتقدات .

وقد حاول أوغسطين أن يصور مبدأ آخر أن الفلسفة نوعا ما تضلل في المسائل الدينية إذ هناك فلسفات تكون دفينة النقد، وقد يستعملها الهراطقة والزنادقة لدحض فكر الدين المسيحي ومعتقداته، ولهذا أكد على ضرورة إحسان التصرف في المسائل الدينية " بدون تهور ويتحول من محب إلى الدراسة إلى فضولي عن الزيادة ، ولا يصبح متعلما وإنما يصبح ساذجا ولا يصبح فطنا متدبرا وإنما يصبح شاكا مرتابا "[2] ولهذا نجده يلح على الإيمان قبل التعقل.

وفلسفة أوغسطين تجسدت في الكتاب الحادي عشر من الاعترافات أو في بعض الأحيان نجدها في الكتاب العاشر على اختلاف الطبعات ، وفلسفته في هذا الكتاب ظهرت خلال اعتراضه على مبدأ الخلق ، والذي عارض بها اليونانيين من خلال موقفه من الكتاب المقدس في إصحاحات سفر التكوين ، وهنا ظهرت انطولوجية أوغسطين من خلال أن الخلق خلق من العدم ، وهذه فكرة غريبة عن تعاليم اليهودية وعن اليونانين أمثال **أرسطو**

---

[1] – المرجع السابق، ص 264 .

[2] – المرجع نفسه، ص 266 .

الذي رأى أن المادة أزلية والله أو الصانع في رأيه هو كالفنان أو كالمهندس فقط ينحتها وفي هذه النقطة اختلف عن الأوليين من اليونانيين ، وهذه حجة اختلف بها عندما رأى أن الله خلق العالم من لا شيء والمادة جزء من خلقه ، وهنا ظهر خلاف آخر في عصره وحتى عند المؤمنين المسيحيين ، إذ ظهرت فرقة تدعو **بوحدة الوجود** وهي أن الله والعالم معا وهذا مخالف لما جاء به الكتاب المقدس في سفر التكوين ، "وقد رأى في ذلك أوغسطين أن العالم منفصل عن الرب والله هو خالق هذا العالم"[1] وهنا تظهر فلسفته الانطولوجية التي انطلق من سؤال أين كان الله عندما خلق هذا العالم ؟ وبذلك دحض فكرة **أزلية المادة.**

يرى أوغسطين أن الله كان في خلقه لهذا العالم يصور معالم المادة والزمان ، وقد خلق جزءا من هذا الوجود كالروح والأفلاك الأخرى ، ولديه نظرية "البذور الأولية"[2] التي برهن عليها أن الأجسام المخلوقة في هذا العالم كمثل البذرة زرعها الرب ونفخ فيها من الروح وهذا أيضا تصور انطولوجيا بناه أوغسطين بصورة عقلية استنتاجيه فلسفية محضة ووضح لنا سيرورة التطور في بنية العالم.

أدرك أوغسطين مسألة ثانية كان لابد له من رأي فيها، تخص تأسيس الإيمان على فكرة التجسد والبعث والخلاص وتلك صفة روحية كان لابد من استعادة قدسيتها من جديد بترك ما

---

[1] – برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية الفلسفة الكاثوليكية الكتاب الثاني ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتب (د . ط) بالقاهرة ، 2010 م ، ص. ص 80–81.

[2] – بيتر كونزمان فرانز واخرون : أطلس الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 69.

" للجسد من ذنوب وما للروح من طهارة "[1] أي أن روح الإنسان مسجونة في جسد غريب داخل عالم مادي ، لا يستطيع التعالي عنه سوى العرفانيين باطنيا .

في هذا الصدد أكد كوجهة نظر أن التعالي الحق والاستنارة الروحية الكاملة تنطلق من إنكار الغرائز الجنسية– التي انغمس فيها قديما– وإذ يؤكد على أن حرية الإنسان وإرادته قد تقوده إلى الرذائل من جراء ميله لغرائزه الجنسية وهذا جراء عدم معرفته الصحيحة لطريقة التحكم في حرية الإرادة وقد كتب على اثر ذلك رسالة في الحرية والشر[2]، وهنا استخلص أوغسطين أن الفلسفة ما هي إلا وسيلة للسعادة ، وهذه الأخيرة لا تتحقق إلا من خلال معرفة الله إذ يقول في هذا الصدد:" **لقد صنعتنا لأجلك يا رب وإنا قلبنا لا يزال مضطربا حتى يطمئن إليك**"[3] بذلك حاول أن يوافق بين ما هو عقلي فلسفي وما هو انطولوجي ليبرهن ويؤكد على ضرورة الفلسفة ، ويحاول تخليص الروح من الدنس بواسطة الإيمان، والإيمان يقود إلى السعادة الأبدية .

كلام أوغسطين عن السعادة نجده عندما يقول: " **والسعادة هي أن يفرح الإنسان بك ولأجلك وبسببك ، اجل تلك هي السعادة ولا سعادة إلاها وكل من يتصورون سعادة سواها**

---

[1]–ريتشارد تارناس : ألام العقل الغربي التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم ، ترجمة فاضل جكتر ، بدار العبيكان والكلمة، ط 1 السعودية ، 2010 م ، ص174.

[2]– المرجع نفسه، ص 178

[3]– القديس أوغسطين : موعظة على الجبل ، المصدر السابق ، ص 6.

يسعون في اثر فرح مخالف للحقيقة"[1] هذه السعادة يقصد بها مرحلة من مراحل العرفان التي تملكها من الحقيقة والتي تأخذها من الرب نورا وكشفا .

قراءته الفلسفية في التراث اليوناني كانت لما قرأ لأرسطو مقولاته فحسب، وقرأ **لشيشرون** محاوراته الفلسفية " **هوتنسيوس** " مما جعل منه يتخذ شيشرون أهم مصادره الفلسفية وقرأ عن سينكا ، وأكثر من قرأ له تراثه هو أفلاطون حيث قرأ له المحاورات " فيدون. طيماوس" وقرأ أيضا لأفلوطين قبل دخوله المسيحية ، وكذلك في ترحاله إلى مدينة كاسيكياكوم كتب أربع مقالات اهتم بها بالمحتوى العقلي الفلسفي في النظام ، والحياة السعيدة ، ومناجاة النفس وضد الأكاديميين ، وكلها تعبر عن عقليته الفلسفية في تبنيه للمنهج الميتافيزيقي مع تلامذته وأطلق على هذه المرحلة من حياته بمرحلة دراسة الحكمة ، وبحثه في الفلسفة كان الغرض البحث عن الحقيقة ، وتطور مفهوم الحكمة عنده في بداية الأمر "هي العلم بالأشياء الإنسانية والإلهية وبعد ذلك تغير عنده المفهوم بإرجاعه إلى التقوى[2]" مستندا بذلك إلى ما تعلمه في الكتاب المقدس وهي مخافة الله.

2- الزمن والعالم:

من يعالج فلسفة أوغسطين إذ لم يعد إلى فلسفته في تفسير الزمن ، كأنه لم يعرف أوغسطين أبدا ، إذ عرف شهرة في مشكلة الزمن ونجدها بالضبط في كتابه الإعترافات الفصل الحادي عشر حاول فهم الزمن المتأرجح بين الفهم القديم الذي "ربط فيه الزمان

[1] - القديس أوغسطين : الاعترافات ، المصدر السابق ، ص.215.

[2] - زينب محمود الخضيري : لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط)، بالقاهرة ، 1997م ص. ص ، 14- 16.

بالكون أو العالم ، والتصور الآخر الذي يفسر الزمن بالوعي الداخلي"[1]، وبذلك تدخل أوغسطين وأيد التصور الثاني عن الأول التي تهم الوعي الإنساني وهذا يجعلنا نفرق بين الأزلي والمتغير في ترابطهما مع الزمن .

راح أوغسطين ينكر تلك الآراء في مشكلة الزمن التي تداولها السابقون حول فرضية بقاء الله طول الأزمنة بدون عمل في رأيهم ، وأن مشيئة الله مرتبطة بزمن الماضي والمستقبل وهذا غير صحيح حسب أوغسطين ، لأن الله خلق المشيئة قبل كل شيء ولا معنى للأزل في هذا ، إذ بذلك ينكر فكرة الماضي والمستقبل بل يؤكد على الحاضر، لأنه مرتبط بالإرادة وقلوب هؤلاء الضالين تتأرجح بين الماضي والمستقبل ، وجاوب أوغسطين على ذلك السؤال إذ قال:" **كان يعد جهنم للذين يحاولون إدراك أسرار كتلك الأسرار**" أي أنه رفض تلك التساؤلات غير المرتبطة بجوهر المنطق العقلي وقال في ذلك :" **أنا لا اعلم من لا أعلم**" [2] أي لا اعلم حال الله بعد أو قبل الخلق.

فرأى في السؤال السابق انه لم يطابق المعنى الواضح إذ عدنا إلى سؤالهم الأول **(إن الله قبل خلق العالم ماذا كان يعمل في ذلك الزمن)** وهذه كلمة على أنه خلق الزمان الأول وخلق زمن العالم ، وإذا أنكروا الزمن الأول فلماذا يبحثون عن عمل الرب؟ لأن العمل مرتبط بالحركة والحركة بالزمن ، بل إن الرب متعال عن كل هذا ، وإذا أطلقنا على الماضي زمن طويل هذا تجسد لموقف ضال أي الأزلية في الزمن ، بل نقول الحاضر الطويل لأنه متجسد

---

[1]– بيتر كونزمان فرانز وآخرون: أطلس الفلسفة ، المرجع السابق، ص 71.

[2] – القديس أوغسطين الاعترافات ، المصدر السابق ، ص.ص 246-248 .

في آنيته والمستقبل سيكون طويلا ، وفي ذلك ندرك أن الوقت الماضي غير موجود في الفهم الإنساني ولكن الحاضر موجود وهذا لا يختلف عنه اثنان، وإذا انتقد أوغسطين في تقسيمه للزمن قال: " **نقول بوجود أزمنة ثلاث الماضي الحاضر والحاضر الحاضر والمستقبل الحاضر** "[1] فحاضر الأشياء الماضية في رأيه الذاكرة ، وحاضر الأشياء الحاضرة هو الرؤية المباشرة ، وحاضر الأشياء المستقبلة هو الترقب والانتظار.

أما في تصور أوغسطين الفلسفي للعالم إذ يرى أن المخلوقات التي خلقها الرب ليست مخلوقة منه بل من العدم ، ولو خلقت منه لكانت ثابتة أبدية تمشي وفق مشيئته ، وهي ليست فائضة من جوهره بل خلقها من لا شيء ، وميزتها **النظام** ، ويرى أن فناء شيء هو حياة لشيء آخر وهو فائدة بذلك وخطيئة ذلك تنبيه وتحذير – وهذا ليعلل خطيئة آدم– لذلك كل شيء في هذا العالم له "غرض وغاية"[2] ونشاط الله في ذلك أن له صلة بين ما خلقه في هذا العالم ، والنظام الذي أحكمه به ، وخلقه للعالم جعل معه الزمن، والزمن لم يسبق العالم بل العكس ، وحقيقة الخلق في هذا العالم جعل له قانون وحتميات وللمخلوقات الواعية حرية الاختيار إذ يقول :" **إن الله يحكم كل الأشياء الذي خلقها بطريقة تسمح لهذه المخلوقات بأن تسلك السبل المناسبة لها**"[3] وبذلك يؤكد من جديد على مبدأين حرية الاختيار وغرضية خلق المخلوق في هذا العالم.

---

[1]– المصدر السابق ، ص 251.

[2]– جونو وبونجوان : تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية ، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد ، عز الدين للطباعة والنشر،(د.ط) بيروت ، 1993م ، ص 274.

[3]– المرجع السابق، ص382.

3-بين الشك والمعرفة اليقينية:

تخلي أوغسطين عن المانوية التي أوقعته في سلطان الشك ،إذ لم يفرق بين الوهم والحقيقة وبين النور والظلام ، وهو في ذاته دائما ما يبحث عن الحقيقة ويسعى إلى بلوغها وكان منهجه منهج من يبحث عن الحقيقة الروحية ، هو وكل من عايشه من اهتم بمعالم المعارف الدينية ، وكان خلاصه في الأخير إلا بتمسكه بالقديس **امبروزيوس** وتعاليمه وقد اعترف أنه وصل إلى مرحلة الشك في كتابه الاعترافات يقول:" **ثم اعتقدت أن الفلاسفة المعروفين بالمحلفين يفوقون حكمة سواهم ،إذ يقولون أن الشك بكل شيء واجب والإنسان عاجز عن فهم كل حقيقة فبدالي حينذاك أن تعليمهم الصحيح هو ما كان يعزوه الناس إليهم ، لأني كنت اجهل في ذلك الوقت نياتهم الأساسية ، وحاولت أن أزعزع ثقة مضيفي الفائقة الحد بخرافات امتلأت كتب المانويين منها**" [1] هذا ندما على ما عرفه عن المانويين وما تعلم عنهم وإدراكه في آخر المطاف ، أن جميع تعاليمهم غير صحيحة وهذا زعزع له ملكة المعرفة والحقيقة التي كان دائما سعى إليها.

أثرت عليه أيضا كتابات شيشرون بعدما أدرك أنهم ينكرون اليقين في المعارف الإنسانية و"عاش الشك بذلك لمدة ثلالث سنين ، وكل هذا بسبب قراءته لكتاب "المقالات الأكاديمية" لشيشرون"[2] وشكه لم يمس الجانب المتعلق بوجود الله من عدمه ولا مخلوقاته لأنه أمر لا

---

[1] – القديس أوغسطين : الاعترافات، المصدر السابق ، ص 92 .

[2]- ياقوت فرعوني: نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين، المرجع السابق، ص 24.

يقبل الشك ، و أيضا لم يمس شكه الكنيسة ومقدساتها ، إذ رأى فيها مبادئ عديدة "تتحقق فيها النبؤات"[1] وهي أيضا تمثل الكمال الروحي وملجأ النجاة إلى الرب .

نجد أوغسطين دائما في مباحثه الفلسفية يحاول انتقاد السابقين ، ففي المعرفة أيضا اتبع نفس المنهج أي نقد أولئك الذين أنكروا المعرفة وهم الأكاديميين ، وقد بلغ ذروة المعرفة الحقيقية من خلال تصوره اليقيني للمعارف بعيدا عن الشك فيها ، وكل شيء في هذا العالم مكشوف للوعي ، ويؤكد أوغسطين على يقينية مصادر المعرفة المكشوفة من خلال وعينا الإنساني .

ونظرية المعرفة عنده تتمثل في مرحلتين الأولى شعر بها العقل من خلال حواس الجسد وهي الحواس الخمس التي تتلقى المعرفة ، وتستقبلها خارجيا ، والثانية يشعر بها العقل من خلال ذاته وهو العالم المعقول ، وهو مستقل بذاته وهذه الفكرة نجدها في كتابه "التثليث" الفصل التاسع والعاشر والرابع عشر، والمعرفة بذاتها عند أوغسطين لها غاية تخدم الروح وأسرارها ، والكشف عن أسرار الخلاص ومحبة الله ، ونظرته للجسد والإحساس إنما هي وسيلة يستخدمها العقل لإدراك معنى الروح العاقلة وعلى أساس ذلك قال أوغسطين:" **إن دراية العقل بخبرات الجسد تمكنه من احتواء الإحساس**"[2] وبذلك ارجع الإحساس للجسد والعقل للروح ولم يفصل الأول عن الثاني لأن الأول وسيلة الثاني.

[1]- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص26.

[2]- ترانتى وماركوس: مقالات في فلسفة العصور الوسطى، المرجع السابق ، ص. ص 30- 36.

إن طبيعة الإنسان الباحث في المعرفة والحقائق بإختلافها يجد نفسه حسب رأي أوغسطين وسط حلقة إما تتمحور في الداخل هو عالم العقل والوعي أو الخارج عالم الإحساس ، أو "داخل الداخل وهو مراحل التخلص من الزيف ويسميها مرحلة **الكشف**"،[1] والتي تطورت وأصبحت فيما بعد ما يعرف "**بالإشراق**"[2]، إذ هي معرفة الله من خلال المعاني الجزئية والكلية والمبادئ الضرورية التي نستمدها بالإستدلال والإيمان بمشيئة الرب.

4-النفس وإشكالية الخير والشر:

جميع أفكار أوغسطين الفلسفية في تفسيره لحقيقة النفس لا تتجاوز تفسيراته للمعرفة والسعادة والأخلاق وغيرها ، التي يرجعها إلى الله ونظامه الكوني ، وكلها تصورات لاهوتية فهو يرى أن النفس على أنها "جوهر غير مادي خالد"[3]، لأن إدراك الإنسان لذاته بالعقل يجعل منه يدرك وجوده في هذا العالم وبالتالي خاصية النفس تعكس وجود الذات لدى الإنسان التي هي ترجمة لعدة تمظهرات لذات الإنسان ، من تعقل وذاكرة وإرادة على حسب رأيه، وهي صفات جوهرية تبرهن على وجود النفس المرتبطة بالجسد ، وهذه الصلة لا تلغي الروح النقية في الإنسان بل كل وله وظيفته في هذا العالم ، للروح وظيفتها وللجسم وظيفته وكلاهما يسيران وراء الحقيقة.

في مسالة خلود النفس تأرجح بين ثلاث مواقف ، موقف يقول أن النفس موروث بين الأب وابنه وموقف ثاني يقول أن الله خلقها مع الجسد، و موقف آخر يقول أن النفس أزلية

1- بيتر كونزمان فرانز وآخرون: أطلس الفلسفة ،المرجع السابق، ص69 .

2 - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 39 .

3-عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، وكالة المطبوعات ، ط3 ، الكويت ، 1989م ، ص. ص31- 34.

وهذا موقف أفلاطون في قضية أن النفس كانت في العالم المثالي واستنسخت في الجسد وتحاول الرجوع إلى عالمها الأول ، ولكن أوغسطين اخذ بالموقف الثاني أن النفس خلقها الله وهي خالدة بعد موت الجسد وهي تسعى إلى البحث عن الإيمان والحكمة التي بها يصل إلى الرب ، وتماثل أوغسطين مع أفلاطون في قضية الخلود فقط وفي تقسيمه للنفس أنها شهوانية وأخرى غاضبة وأخرى عقلانية ، ولكن النفس ليست قسما من الله أي ورثت في بني آدم من جوهره ، بل هي "روح خلقها من عدم"[1] تحكمها إرادة الإنسان إما يأخذها إلى الاستقامة بمحبة الله والكشف عنه طريق الإيمان والتعقل أو السعي وراء الرذائل بالخطيئة والذنوب .

مسألة الخير والشر تحدث أوغسطين عنها في مجال القيم ، وقد استمدها في مراحله الأولى الفكرية من تأثره بالفلسفات القبلية ، والمذهب المانوي الذي يرجع الخير والشر إلى مبدأ النور من خلال إله الخير **اهورامزدا** ، وشيطان الشر من خلال **أهريمان** الإلهان اللذان هما في صراع دائم ، ولكن عند اعتناقه المسيحية تبنى التعريف اللاهوتي الذي " يعرف الخير على أنه ما يسبب السعادة أو يسهل الحياة في الصعيد الجسدي والسيكولوجي وعلى العكس من ذلك كل ما يؤدي إلى المرض بجميع أشكاله وبالأخص إلى الموت هو شر"[2] ومنه نستطيع القول أن الخير والشر أصبحا لديهما خاصية الإحساس الشعوري الخاص بالإنسان ، وهذا تعريف ثبته أوغسطين في فلسفته الخاصة عن مبدأ الخير والشر ، وزاد

[1] –جونو و بونجوان : تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية، المرجع السابق، ص 285.

[2] – موسى معيرش: مشكلات القيم في فلسفة أوغسطين ، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية مجلة فصلية محكمة ، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، العدد 16، ربيع 2016 ، ص. ص 94 – 101.

على ذلك أن الإنسان بامتلاكه الإرادة يستطيع تجنب الشر ، من خلال الابتعاد عن الخطايا و الآثام والتوجه إلى محبة الله بالتوبة وفعل الخير ، واعترافاته تدلل بذلك ، إذ رأى أن حياته في الصغر كانت مليئة بالشرور جراء إتباعه شهواته وغريزته الجسدية ، ولكن بفضل الإيمان المسيحي استطاع التغلب على تلك الشهوات التي دائما ما تواترت بين جسده ونفسه واعتبر أن الخير يتجسد في الله والشر نتيجة الخضوع للخطيئة ويجب التخلص منها بمحبة الرب والتوبة.

في بحث أوغسطين عن أصل الشر لم يصل إلى حل مقنع ، بل تبنى أسس ميتافيزيقية إذ يقول" **هكذا أنت يا عضدي خلصتني من قيودي إنما ما زلت ابحث عن مصدر الشر فلم أجده ، ولكن لم تسمح لأفكاري المترددة بأن تجرني بعيدا عن إيماني بأنك موجود، وأن جوهرك لا يتغير بل ترعى البشرية بعنايتك ، وتمارس عدلك فيها آمنت كذلك بأنك أسست طريقا خلاصيا للإنسان يسير فيها إلى حياة بدايتها الموت...** "[1] بذلك استطاع أوغسطين أن يجد حلا للخلاص من مشكلة الشر التي لم يجد لها مصدرا إلا في إتباع الإنسان إتباع للخطيئة الأولى ، وسعي المؤمن إلى التخلص منها بالإيمان بحد ذاته ، ومحبة الله .

أما الحل الذي نوعا اقتنع بدأ أوغسطين في مسالة أصل الشر هو تأثره بالأفلاطونية المحدثة القائلة " **أن الشر نقصان وافتقار للخير**" إذ استطاع بذلك أن يرجعها للحرية والإرادة الإنسانية ، وصلاح الله في ذلك أن في نظامه الكوني خلق الخير والشر"[2] ، أي إنه لم يكن

---

[1]– القديس أوغسطين : الإعترافات ، المصدر السابق ، ص 130.

[2]– جاريث ب– ماثيوز : أوغسطين ، ترجمة أيمن فؤاد زهري ، بالمركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة ، 2013م ، ص 176.

ليخلق في مخلوقاته إمكان وجود الخير الأخلاقي دون أن يخلق فيها أيضا إمكان وجود الشر وهذا سره في نظامه الكوني كاملا .

وينظر أوغسطين للشر الخلقي أو ما يعرف بالخطيئة الأولى ، وسبب دنو النفس وتوجهها إلى المعاصي إلا بسبب خطيئة التكبر ومحبة الذات ، وتدهور الإرادة وعدم التحكم في نظامها ، وذلك لأن آدم وحواء أبيا إلا أن يأكلا من تلك الشجرة بفعل إرادتهما التي أبعدتهما عن الله ومحبته ، والخير عكس ذلك قرب من الله ، وهناك من يقول أن الإرادة من الله فكيف لها أن تقودنا إلى الشر ورد أوغسطين "أن الله وضع الإرادة جنبا إلى جنب مع حرية الاختيار"[1] وبذلك نقول أن الله غير مسؤول عن أفعال البشر الإرادية.

5- الأخلاق والأفعال الإرادية:

تعرف الأخلاق في المسيحية على أنها هي الوسيلة التي نحدد بها الفعل الخير عن الشرير ، إذ أن الفضائل عادة سلوكية تتوافق مع طبيعة الإنسان العاقلة ، والرذائل تعكس ذلك ، وهذا تعريف فلسفي اقرب منه إلى الجانب الديني، وتعريف أوغسطين للرذائل "**على أنها قول أو فعل ضد القانون الأبدي والفضيلة هي الاتفاق مع القانون الإلهي**"[2] وأي عصيان لهذا القانون هو عصيان لله ، وخالق تلك النفس التي بإرادتها استطاعت خرق القوانين الإلهية واستقامة الفعل البشري دلالة على التوافق مع قانون الإله ، وهذا القانون يراه آباء الكنيسة على أنه شيء إلهامي في عقل ونفس البشر ، وللعقل الإنساني القدرة على

1- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، المرجع السابق، ص.ص 45- 46.

2- أتين جلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي، ط3 ،بالقاهرة، 1996 م ص 375

التحكم في **الإرادة الحرة** التي بها يصوب فعل الخير والشر ، دائما ما نجد أوغسطين ما يرجع جميع الأشياء إلى الله، فالأخلاق مثلا مصدرها الرب إذ هو مصدر الحقائق الأخلاقية التي يسعى اغلب البشر إلى السعادة وحقيقتها مثل الحقائق الرياضية متعلقة بمحبة الرب وهذا ما سماه القانون الأبدي .

وبذلك نقول أن الأخلاق في رأي أوغسطين كلام عن محبة الله والتعالي بفضائله الخيرة التي تدعو إلى سعادة الإنسان ، وتلك مسيرة كشف عن ذات الله والتي منهجها في ذلك الإيمان وقدرته في تدبير الكون، وفي علاقة الإرادة الحرة مع الأخلاق يؤكد أوغسطين أنها مسألة مهمة في كل فعل أخلاقي ، "إذ أن الفضيلة تعتمد على الإدراكات العقلية للمرء والرذيلة نتاج الأفعال الشريرة التي كانت بفضل الإرادة المنحرفة نحو الشر"[1]، والسبب في ذلك ضعف الروح وبعدها عن محبة الله سبب في الشر ومحرك للإرادة الشريرة.

يرى أوغسطين أن هنالك أربع فضائل تجسد مدى محبة المؤمن لربه والسعي وراء السعادة الحقيقية فيقول في هذا الصدد" **وتلك الفضائل الأربع التي أرجو الله أن يضع قوتها في عقول الناس كما هي أسماؤها في أفواههم أتجاسر فاحددها على الوجه التالي الاعتدال هو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملا ، القوة هو الحب الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه ، البر هو الحب الذي لا يخدم سوى محبوبه فيسيطر بصدق ، الفطنة**

[1] – هنري تشادويك : أوغسطينوس مقدمة صغير جدا ، المرجع السابق، ص45.

هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله وبين ما يمنع عنه "[1] بمعنى كل تلك الفضائل الأربعة قوامها محبة الله ، فقصده من **الاعتدال** أن يكبح الإنسان الميولات والأهواء ليرقي بمحبة الله من كل نقص أو عيب ، **والقوة** أن تحتمل كل شيء في سبيل الله ومحبته والصبر على كل ضيم ، **والبر** أن لا تخضع لغير الله ، **والفطنة** ملكة العقل في التمييز بين الحقائق التي تبعدك أو تقربك إلى الله .

أما قضية حرية الإرادة عند أوغسطين فنجدها في مؤلفه محاورات في حرية الإرادة الذي أثار فيه نقاش حول الجزاء في الخطيئة ، ومسالة الثواب في الأعمال وعلاقتها بحرية الفرد وإرادته وقد أقر أن هذه المسألة صعبة الحل ، وتكلم عن خطيئة آدم واقترافه للخطيئة فكيف لم يحجمها الله عنه ؟ وهل اقترفها بمحض إرادته؟ وإذ لم يكن غير مسؤول عن هذه الخطيئة فلماذا يجزى عليها ؟ إذا كانت من قدرة الرب في ذلك وحكمته في تدبير خلقه ، وبذلك نقول كيف لنا أن نجمع بين علم الله المسبق وحرية الإرادة في أفعال البشر ؟

بذلك حاول أوغسطين الرد على شيشرون الذي شك بوجود الله في هذه المسألة إذ كان له علم مسبق فكيف له أن يترك بني آدم في الذنوب وارتكابهم لها؟ وشكه في ذلك كان متماديا حيث اختار الحرية في الأخير ، ورد عليه أوغسطين في هذه القضية بعدما اعتناقه للمسيحية وقد قدم حلا لهذه المشكلة إذ رأى " **لن تكون إرادتنا إرادة الفعل ما لم تكن في نطاق قدرتنا ، ونظرا لأنها في نطاق قدرتنا فمن البين أنها إرادة حرة ، ولا يمكن أن تسمى**

---

1 – القديس أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، بدار المشرق ، ط7 ببيروت ، 2004م ص 366 .

إرادة إذا لم تكن في نطاق قدرتنا، كذلك أيضا يكون من البين أن لله علما مسبقا بما كان وسيكون في نطاق قدرتنا ، ومع ذلك فإنه ليس من شأن علم الله المسبق أن يسلب مني القدرة وإنما على الضد من ذلك سوف تتجلى من داخلي القدرة على الإرادة بفضل من علمه المسبق "[1] وعلم الله بخطيئة آدم شيء من قدرته وعلمه بإرادته على اقتراف الخطيئة كذلك من قدرته وعلمه المسبق، ولكنه ترك للبشر جميعا حرية الاختيار بين الفضائل والرذائل وله العلم بما سيفعله بالضرورة ، أي بعد فعل الاختيار هي إحدى قدراته وضروريات في تدبير كونه ، وقد يفعل الإنسان أمورا بفعل الحرية ولكن هي بقدرة الله وذلك لا يتنافى مع الله وسره في تدبير الكون ، فمثلا حادثة المرور وصدم طفل تعد شرا قد أصاب ذلك الطفل نقول تلك حرية في السفر مثلا ، وقد صدم في هذه الحالة ، فهو اختار السفر ولم يكن له علم بما سيحصل له، هذا لا يتنافى مع الحرية الفردية أبدا، إذ كان له الحرية في الرجوع عن السفر ، ولا تحدث الحادثة ومنه نؤكد على أن الحرية الفردية ضرورية الوجود مع العلم المسبق لله .

6- أوغسطين واللغة:

تجتمع فلسفة اللغة عند أوغسطين في كتابه محاورات "**المعلم**" التي ألفها مع إبنه **اديودات** من خلال أن له وجهة نظر خاصة من" الدلالة في اللغة وحدودها ودورها فهو يرى

[1]- جاريث ب- ماثيوز ، أوغسطين ، المرجع السابق ، ص. ص 156-158 .

أنها عاجزة عن إيصال الحقيقة ، وعدم قيامها بدورها في عملية التعليم والتعلم"[1]، وله نظرة أن اللغة ليس كان ما يظنه الكثير أن لها مسميات من خلال العرف والتقاليد ، بل قد تختلف المسميات من منطقة إلى منطقة ، واختلافنا في المسمى اختلاف في الفهم والمعنى وأضاف إلى ذلك نظريته "الإشراقية" في اللغة ، أي أن الله يقذف نورا داخليا لكشف الحقائق في نفس الإنسان دون واسطة ، ويستدل بذلك قصة آدم ، وتعلمه جميع الأسماء بفضل قدرة الرب.

الشيء الذي أكد عليه أن اللغة تعد دليل على وجود الله ، ولا بد لها خدمة اللاهوت من خلال المنهج الحدسي ، الذي هو تجربة حية تعبر عن الرؤية الفلسفية في معالم اللغة التي تربط بين المادي والروحي ، بين الكلمة والبحث عن المعنى واستعماله للغة كتحليل في بحثه عن الحقائق الإنسانية ، والدفاع عن الآراء الخاصة ، وعندما تطرق أوغسطين إلى قضية عجز اللغة فقد قصد الجانب الشعوري للنفس الإنسانية ، "وأنها بذلك عاجزة عن التعبير عن المعنى داخل الكلمة وذلك لأنها لا تستطيع أن تعبر هذه المسافة بين اللغة والشيء"[2]،وللغة مرجعية هي التعبير عن تلك الرغبات الخاصة أو عن الأشياء التي يحتاجها في حياته

---

[1] – Saint Augustin, le maître, trad. F.J. Thonnard.in Dialogues philosophiques, Paris Descelée de Brouwer 1955, Page 492.

[2]–حسن حنفي : نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط " أوغسطين – انسليم – توما الاكويني " مكتبة الانجلو مصرية ط2 ، بالقاهرة ، 1979 م، ص– ص 11- 15.

وهناك كلمات ليس لها أشياء مادية ، ككلمة "الروح والتي يمكن معرفتها من خلال الإيمان"[1] بالتصورات التجريدية في العقل ، ولكن نستطيع فهمها من خلال الاستنتاج والإدراك الذاتي .

أضاف كذلك أوغسطين أن هنالك كلمات أيضا لا تدل على دلالة سوى الربط بين الكلمة والكلمة تسمى الحدود الحملية التابعة ، وهي الحروف التي تصاحب المعنى ولا تدل على شيء ، ودلالتها في اقترانها بكلمات أخرى والتي ناقشها مع إبنه عن دلالة الألفاظ التابعة في تركيب الجملة اللغوية " فله قاعدة أن الصيغ الإنشائية كالرجاء والتمني والتعجب والأمر موضوعات تندرج ضمن خاصية الشعور الإنساني ولا يمكن الإشارة إليها بكلمات تدل على معنى واضح"[2] فمثلا صلاة الفرد لإرضاء الرب وهي حالة شعورية ، نستطيع القول أننا لسنا بحاجة إلى الكلمات وهي بذلك قد لا توفر الدلالة الكامنة في الشعور النفسي لدى المصلي ، ومنه نقول إنها غير ضرورية فقد نكتفي مثلا بالإيماء أو الحركات وتكون لها نفس دلالة الكلمة بحد ذاتها .

وتصور عجز اللغة على حسب رأي أوغسطين كذلك في التلقين والتعلم فقد لا نصل إلى فهم مشترك بين الطرفين بسبب عدم تحديد معنى اللفظ ، أو الكلمة مباشرة بصيغة مطلقة ورؤيته إلى الناحية الايجابية للغة كانت في مرحلة التنبيه في الذاكرة الإنسانية ، وعليه نقول أن تعلم الأشياء مرجعها الله وذلك عن طريق النور الإشراقي ، واستبدال عجز اللغة بالإيمان سبيل في الفهم لا غير ، وذلك لكي نستطيع فهم الكتاب المقدس ، "ونظريته الاشراقية تعد

---

[1]- روي هاريس وتولبت جي تيلر: أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي من سقراط إلى دسوسير ،ج1 ، ترجمة احمد شاكر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1 ، بيروت ، مارس 2004 م ، ص75.

[2]-جاريث ب- ماثيوز : أوغسطين ، المرجع السابق ، ص 54.

حدسا دينيا أصيل أساسه أن الله موجود في النفس لأن الله ليس تصور مجرد"[1]، بل وجوده فعلي في النفس وفي الكون ، يشعر به الناس ذوي الإيمان الخالص .

7- العناية الإلهية وتفسيره للتاريخ:

استطاع الفكر المسيحي أن يسلم بنظرية العناية الإلهية التي توارثتها الأديان من قبل بوصفها إحدى قواعد الديانة المسيحية ، وهي التسليم لمشيئة الرب ، "والإيمان بأن الله هو الذي يرعى ويحمي هذا الكون"[2] ، واستمدوا ذلك من الكتاب المقدس على المعنى اللغوي في أن الله خلق الوجود وخلق الأشياء جميعا، ولكنه خلقها بكلمته وبكلمته يحافظ عليها في الوجود ، والإيمان به يدعم فكرة العناية ، وهكذا نقول أن العناية الإلهية أرسى معالمها في التاريخ القديس أوغسطين الذي وضع لها قوانين تتماشى مع عقيدة الإيمان المسيحي ، ورأى أن فكرة العناية الإلهية إنما هي تجسيد للنظام في كون الرب بل كل شيء من خلق الله وحكمته ، "وكل ما هو موجود بفضل صورته ، والله هو الصورة العليا الساكنة" [3]، وهو العناية الأزلية التي لا تنقطع ، لأنه هو الذي خلق الأشياء وهو الذي يحفظها.

وتعني العناية لغويا هي الاهتمام بالشيء وحفظه والقيام بأمره ، وفي الدين اتصال الرب مع العبد ومخلوقاته والعناية بها ، وتوجيههم للأمور التي تخص حياتهم ، وذلك سر تدبيره في كونه ، وترجمة العناية في الكتب المقدسة " أن يمد الله الإنسان للوجود ويحفظه من كل

[1]- حسن حنفي : نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط " أوغسطين – انسليم – توما الاكويني" المرجع السابق ، ص 28.

[2] – B. Romeyer, la philosophie chrétienne jusqu'à Descartes, des alexandrins à la mort de Saint Augustin,1ére édition, librairie Bloud Gay, 1937, page161-

[3]- اتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، المرجع السابق ، ص. ص 201- 209.

سوء وذلك هي سيادة الله على مخلوقاته في جميع شؤونهم الدنيوية والدينية" [1]، وهذا التعريف استمده أوغسطين لكي يبرهن على نظريته في التاريخ ، التي وضحها في كتابه مدينة الله إذ رأى أن ما حل بروما هو قدرة إلهية تجسدت في غضبه ، من جراء دنوهم إلى الوثنية والسعي وراءها وعموم الشر والذنوب

قسم أوغسطين التاريخ إلى سبعة عصور من آدم إلى اليوم وعصر يرتاح فيه الرب ، وخلاصة فكره في التاريخ تعتمد على مدى تمسك المؤمن بعقيدة الإيمان المسيحي وبذلك لن ينكر نظريته في التاريخ أي احد، "وقد شبهها بالمسرحية التي ألفها الرب ويمثل أدوارها البشر"،[2] وتلك حكمته في الخلق وكل مؤمن بالعقائد المسيحية فهو يعلم ماذا يعنى بالعناية الربانية ، وهو متحكم في التاريخ للأزمنة عامة ، وبذلك لن يسلم في تفسيره للتاريخ إلا "بنظرية العناية الإلهية"[3] التي رأى فيها الفلاسفة الآخريين أنها تجسيد للاهوته وتبرير لسيطرة الكنيسة .

---

[1]– ثائر علي الحلاق: العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي، دار النور، بدمشق، ط1، 2014م، ص57 .

[2] – رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ " نظريات في فلسفة التاريخ"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية –(د.ط) 2000 م ص42 .

[3]– أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، (د.ط) ، بالإسكندرية ، 1975 م ، ص170 .

2- أوغسطين واللاهوت المسيحي:

1- الألوهية الاوغسطينية:

أ/ **مشكلة الألوهية:**

تعد مشكلة الألوهية من بين أهم الحقائق التي بحث عليها أوغسطين في مخيلته المعرفية ، واستند إلى الكتاب المقدس وجميع العظات التي تلقاها من القديسين الذين عرفهم في حياته ، وجميع معارفه فيما تخص طبيعة الله ، نابعة من روحه العارفة لله بالإيمان الخاص البعيد عن الشك .

يؤكد أوغسطين على ضرورة معرفة واثبات وجود الله ، لأنه أساسا لا يمكن إنكاره وإثباتنا أيضا له لا يعني إدراك جوهره ،" بل ندرك وجوده وصفاته الابدية من خلال الإيمان"[1] وذلك الإيمان مؤسس على قوى خفية يشعر بها الإنسان داخليا بوجود قوى أعظم منه ومن جميع من حوله تسمى القوى الإلهية التي لم يختلف عليها اثنان منذ القدم ، والله عند أوغسطين " **هو الحق السرمدي ، والخير المطلق ، وهو مبدأ كل وجود ويكفينا أن ندخل في ذواتنا لنجد أنفسنا ونجد فيها الله** "[2] قد نقول أن أوغسطين قد استمد معرفته لله من خلال ذاته البشرية وما تملكه من قدرات إيمانية ، وتبعا لطهارة النفس الإنسانية .

---

[1] – Saint Augustin, Confessions ,Ibid. page 8.

[2] – عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة ، ج1، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1، ببيروت ، 1984م،.ص250.

براهين وجود الله على حسب رأي أوغسطين استند فيها إلى إيمانه الحقيقي بالله قبل أن يثبته ، بل إنه متقين اشد اليقين أنه موجود ولكن هذه البراهين لكي تجعل منه مؤمنا مطمئنا يستطيع أن يقال على إيمانه إيمانا متعقلا ، أي ليس بإيمان ساذج عفوي .

كل من يؤمن بالدين المسيحي عليه دائما في معرفته لله أن ينطلق من الطرح القائل " أؤمن كي أتعقل "[1] وغير مسموح أن يخالف روح الإيمان الموجودة في النفس البشرية ، ولكن هذا لا ننكر به أن لإثبات وجود الله علينا أن نستعمل العقل كضرورة ، والدليل أن من العقلانيين الوثنين من وصل إلى الصانع الأول ، أو العلة الأولى لهذا الكون بفضل قدراته العقلية دون إيمان مسيحي .

ورؤى أوغسطين تسير في موافقة للدين المسيحي الموحد لله تعالى في ظل الإيمان الذي هو أعظم ركائز أي دين على وجه الأرض ، وبناءا على هذا فأوغسطين استند أيضا إلى العقل الذي سبقه الفعل الإيماني واستطاع أن يبرهن على وجود الله من خلال:

البرهان الأول: الإنطلاق من الحقائق الثابتة إذ أن هنالك جملة من الحقائق التي لا يمكن أن تنكر أبدا منها بديهية وجود الله ، ولكن سنحاول أن ننطلق من مثال ابسط من ذلك مثل البديهيات منها مثلا من يسعى إلى الخير الأسمى يسمى حكيما ، وتلك حقيقة تعد ثابتة نصل إليها بفعل التعالي ، الذي هو صفة لها مبدأها الأول ، واكتشاف الإنسان أنه لابد أن تكون هنالك حقائق أعظم من هذه الحقائق التي وصل إليها ، ذلك دليل على أن هنالك ما هو أعظم من تلك الصفات التي يعرفها ، أي بمعنى مثلا نأخذ صفة الصدق ولكن يوجد

[1] – علي زيعور : اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، المرجع السابق، ص 143.

ضدها الكذب وهي صفات إنسانية ، وعندما نقيس بمعيار العقل نجد أن هنالك من لا يعرف الكذب بفعل الإرادة ، بل يمتلك صفة الصدق المتعالي ، وهذه صفة ثابتة لا تكمن إلا في الله وحده الذي هو من اوجد هذه الصفات كلها.

البرهان الثاني: الإستناد على الشك وذلك انطلاقا من الحقائق الثابتة نستطيع من خلالها الوصول إلى الله " فالله هو العلة الكافية لكل حقيقة تحضر في الذهن"[1] حتى الخطأ يصح أن نصل به إلى الله ، وكذلك الشك هو سبيل للوصول إليه ، بمعنى أن طبيعة الشك في الحقائق تبين التضاد والتضاد به نصل إلى مركب ، وذلك المركب هو صفة يتسم بها الله ومنها الكماليات ، فمثلا كما قلنا من قبل صفة الكذب والصدق مركبهما الصدق الكامل، لأن الإنسان يسعى إلى الحقيقة الثابتة غير متغيرة ، وتلك نجدها إلا في الله وحده.

البرهان الثالث: برهان النظام والعلية في الكون والتغير الذي يطرأ على هذا العالم ، ونجده مرات يعرف بالبرهان الغائي ، بمعنى أن المعروف في طبيعة الكون أن له مدبر ينظم مساره وجميع من فيه ، وتلك قوة عظيمة تسير طبقا للتغيرات ، وهي صفة يتسم بها إلا" الله الذي هو علة الحقائق الأزلية والأبدية "[2] حتى النفس تفرض عليها تلك القوى، وتدرك أن لله صفات منها الأزلية والمقدرة غير متناهية .

جميع الكائنات لا يكمن أن تكون عن هذا الكون ، ولا حتى واحدا منها، فهي بالضرورة تفنى وتتغير وبذلك نقول أنها ليست علة أي مخلوق في هذا العالم ، وليست علة حتى

---

[1] - المرجع السابق، ص 147.

[2] - المرجع نفسه، ص 149 .

نفسها، والبراهين التي استند إليها أوغسطين تعد وسيلة لها غاية الدفاع عن معتقدات الدين المسيحي لا غير ، وهو زيادة على ذلك حقيقة يطمئن بها القلب .

نجد أوغسطين في كتابه "الاعترافات" عندما أراد التعرف على الله بدأ يسأل كل حي موجود على سطح الأرض فقال " **سألت البحر وأغواره والكائنات الحية التي تسرح فيه وتمرح فأجابتني: لسنا آلهك** "[1] بمعنى أن أوغسطين سعى إلى حقيقة معرفة الله من خلال الواقع ، والطبيعة المحيطة به ، وطبيعة إدراكاته الحسية فلم يجد جوابا مقنعا ، بل أيقن أنه لا يمكن أن يكون الرب تلك المخلوقات ، ووصل فيما بعد لما أعاد السؤال من جديد على البحار وجميع المخلوقات " **قولي لي شيئا عنه – يقصد الخالق – فهتفت جميعها بصوتها القوي هو خالقنا كان تأملي فيها سؤالا وجمالها جوابا**"[2] معنى ذلك وجد الجواب في عظمة الخلق وجماله وفي إثبات المخلوقات أن لها خالق مختلف عنها ، والسبيل لإدراك خالق الكون لابد لنا من إعلاء ملكة العقل ودمجها مع الإيمان المسيحي .

أوغسطين لم يتناسى مبدأ الغريزة ، أو الفطرة المولودة مع البشر حيث قال في هذا الصدد " **لأنها كانت في ذاكرتي منسية مدفونة في أعماق خفية بعثتها إلى حيز التفكير بفضل الدروس**"[3] بمعنى أن حقيقة معرفة الله كانت في الذاكرة على حسب رأيه وقدرة الإنسان على استذكارها بفضل الدروس والمواعظ ، والإرشاد من طرف القديسين الأطهار الذين عرفوا الله بروحهم النقية المؤمنة .

---

[1] – أوغسطين : الاعترافات ، المصدر السابق ، ص 198 .

[2] – المصدر نفسه ، ص198.

[3]– المصدر السابق ، ص204.

وقدرة الله ليست بالمعنى الضيق أنها تعسفية ولها صفة الضبط ، بل إن الله بذاته يحترم طبيعة البشر وجميع مخلوقاته يقول أوغسطين" **إن الله يحكم كل الأشياء التي خلقها بطريقة تسمح لهذه المخلوقات أن تسلك السبل المناسبة لهم** " [1] ومعنى ذلك أن مشيئة الله كما هو متعارف تراعي حرية وإرادة البشر.

في بحث أوغسطين عن الرب تساءل عن مكانه ومقامه فلم يجد محلا يناسب هيبته وعظمته ، بل إنه عجز عن تصور أي حد يحده ، أو محل يناسبه ، فرأى أن إدراك ذات الرب من خلال قدرة ذاكرته الضعيفة على استيعاب جوهر روح الله في كونه فقط ، وإنه رأى حتى في العقل عدم قدرته الكاملة على إدراك ذات الله ، بل يمكن له إدراك قوة الله لكي يصل إليه ، ويعيش حياة تغمرها السعادة على حسب رأي أوغسطين حيث قال" **حين اتحد بك بكليتي ، افقد كل شعور بالألم والتعب**" [2] وذلك دليل على وجود الله في هذا الكون .

السبيل إلى معرفة الله في ظل كل التصورات الروحانية على البشري أن يمتاز بثلاث صفات الإيمان والرجاء ، والمحبة من خلال نقاء النفس حيث يقول أوغسطين " **الإيمان الذي به نرى الخير الذي يتوق إليه النظر ، وبه يصبح سعيدا ، والرجاء الذي به نتأكد متى كان نظرنا مطابقا للأصول ، والمحبة التي بها نرى ونتمتع بالرؤية** "[3] بمعنى كل هذه

---

[1]– ماهر عبد القادر محمد حربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ، مصر 2000م ، ص 385.

[2] – أوغسطين : الاعترافات ، المصدر السابق، ص218.

[3]– أوغسطين : خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، المصدر السابق ، ص372.

الصفات هي المبادئ الأولى للوصول إلى كيان الرب ، فمستحيل ذلك دون ربط النفس بهذه الصفات التي يستطيع الإنسان بلوغها ، وبها يبلغ إلى الله ويعرف جوهره المتعالي .

ب/ **أوغسطين وموقفه من الثالوث:**

استحداث فكرة الثالوث ومعناها أن الله واحد وثلاث في الوقت نفسه ، لاقت نوعا من النفور مرات ، ومن القبول مرات أخرى ، والشيء الأكيد أنه تم الاختلاف بين المدارس المسيحية فيما بعد حول وحدة الثالوث وفرقته ، بمعنى آخر أن الثالوث المقدس الذي يعبر عن الله أهو وحدة أم ثالوث مفرق ؟

من خلال رأي أوغسطين سنوضح معنى الثالوث الذي رأى أن الله واحد وثالوثه مثل ارتباط عدة معان في معنى واحد، مثلا " العاشق والمعشوق والحب "[1] يعبر هذا المثال عن وحدة لها علاقة فيما بينها، ولو تخلينا على واحد من بين الثلاث فقدنا الوظيفة الإرتباطية، والوظيفة العملية. والمعروف أن أوغسطين كان من بين من تكلم عن مسألة الثالوث حيث حاول أن يدرك معنى أن الله ثالوث واحد ، وان يكون الثالوث هو الله مجتمعا ، يعني ذلك أن الله واحد ليس مجزأ ، فكما أوضحنا من قبل في المثال ، " إذ أن الشيء له صورته في الأب ، وانطباعه بالفعل مشابه للإبن ، أما الإرادة التي تجمع بين الإثنين (بين الصورة

---

[1] – هنري شادويك: أوغسطين الخلق الإلهي والثالوث المقدس، ترجمة. صالح الرزوق، صحيفة المثقف تصدر عن مؤسسة المثقف العربي ، (صحيفة الكترونية) نشر بتاريخ: الثلاثاء 29 ديسمبر 2009 ، ص6. http//mail.almothaqaf.com

[2]– علي زيعور: اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، المرجع السابق ، ص152.

والفعل) هي الروح القدس"[1]، ولإيضاح الأمر أكثر، الأب هو الصورة والإبن هو الفعل والروح القدس هو الرابط بين الإثنين ، وصدورها على التوالي فالإبن من الأب والروح القدس من الابن والأب . وكل هؤلاء هم الله الواحد.

تحدث أوغسطين بالتوضيح أن " الأب هو أصل أو مبدأ الإبن والروح القدس، وكل منهما يعبر عن الله في الواحد "[2] نستطيع القول أن أوغسطين حاول تقفي اثر معنى الوحدة في الله في تعدد الأقانيم الثلاث ، واستدل بالواقع ليبني أطروحة روحية لاقت في زمنه اختلافا كبيرا حول طريقة معرفتنا لله وفي كتاب "مدينة الله" قال :" **إننا نؤمن ونثبت ونعلم ، كعقيدة إيمانية ، بأن الأب قد ولد الكلمة ، أي الحكمة، التي خلقت كل شيء ، ابنه الوحيد واحد منه أزلي مثله ، كلي الصلاح مثله ، وبأن الروح القدس هو روح الأب والابن معا مساو لهما في الجوهر والأزلية ، إنه الثالوث بسبب صفة الأشخاص ، إله واحد بسبب الألوهة التي لا تنفصل كلي القدرة بسبب التماسك الكلي في القدرة ، على أن كل واحد هو الله ، وهو كلي القدرة** "[3] ومعنى كل هذا أن أوغسطين رأى في وحدة الثالوث تجسد الله الواحد بالقدرة ، والقوة ، والصلاح وله كل صفات الكمال ، وكل أقنوم من الثلاث أزلي الجوهر والروح وكلهم يمثلون الرب الواحد.

---

[1]– هنري شادويك ، أوغسطين الخلق الإلهي والثالوث المقدس، المرجع السابق، ص8.

[2]– أوغسطين ، مدينة الله ، المجلد الثاني، ترجمة يوحنا الحلو ، دار المشرق، ط1، بيروت ، 2002م ، ص 39.

نجد أوغسطين لما حاول التعرف على الله أدرك أنه غير قابل للتصورات الحسية ولا حتى العقلية حيث قال" **فإن تشابهت معرفة الله بمعرفة تلك الأشكال فقد يكون فرحي بمعرفتها مساويا لما اشعر به لدى معرفتي بالله على أني احتقرها كثيرا حين أقارنها بالله، ويبدو لي أحيانا أنني لو كنت أدركه واراه كما يمكن أن يكون مرئيا لتلاشى كل شيء في فكري من الآن فصاعدا أرى أن محبتي لله تمنعها من زيارة عقلي**"[1] بمعنى أنه أدرك في آخر المطاف أن قدرة البشري لا يمكن أن تصل إلى حد معرفة الله وكيانه ، وذاته بالحواس والعقل اللذان هما خلقهما ، ولا حتى أن تضع له حد حسي أو شكل مرئي .

لكن أوغسطين جعل للنفس مقدرة الوصول إلى الرب بواسطة العين السليمة والعقل الصافي المعصوم من كل ميل ، وكذلك الإيمان يؤمن لك الطريق للوصول إلى الرب.

2- اللاهوت الدفاعي عند أوغسطين:

وجهت معظم اهتمامات الكنيسة المسيحية في القرون الأولى للمحاماة عن حقائق الدين ضد كل الشكاك و الملاحدة ، والوثنين الذين ما انفكوا امنوا بالمسيحية وعادوا إلى وثنيتهم الأولى ، وكذلك اهتمت الكنيسة وقديسوها بفض النزاع والجدل القائم حول وحدة الأقانيم الثلاثة ، فنشأ فريقين بين هذا الصراع الحادم ، فهنالك من حاول دائما التشكيك في العقائد المسيحية مثل البيلاجين ورد عليه القداس مثل أوغسطين الذي يعد من أهم من دافع عن المسيحية ومعتقداتها ، وكان اللاهوت الدفاعي سبيله في ذلك بمعنى انه استخدم معرفته لله في الدفاع عن الدين .

---

[1]- أوغسطين ، محاورة الذات ، ترجمة يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط1، بلبنان ، 2005م، ص- ص 20-21.

بمعنى أنه استخدم جملة من القضايا في صالح الدفاع عن الدين المسيحي منها الحقائق المتعلقة بالله وسلطانه، وكذا سلطان وسلطة الكنيسة ، واثر المقدس في النفس البشرية ، وحاول أوغسطين من كل هذا وبفضل لاهوته الدفاعي وما تعلمه على أساتذته رد الجهلة إلى نحورهم جراء الأزمة التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية ، وأثرها على الدين المسيحي ، واعتقاد أوغسطين أن مسلمات وعقائد المسيحية هي التي بدورها دافعت عنها، ولولاها لعاشت البشرية أتفه المراحل وأكثرها جهلا ، حيث قال في هذا الصدد " **أما نحن المسيحيين فعلينا أن نشكر الرب إلهنا لا نشكر السماء والأرض كما يدعي ذاك الفيلسوف – يقصد شيشرون – بل خالق السموات والأرض الذي بفضل منه تحطمت تلك الخرافات** "[1]، معنى ذلك أن حتى الدين المسيحي كعقائد ومبادئ دافع عن نفسه قبل أن يدافع عنه من حمل رايته .

---

[1]– أوغسطين ، مدينة الله (المجلد الأول) ، المصدر السابق ، ص208.

دائما ما يؤكد أوغسطين على أن الله هو خالق الكون وكل نفس بشرية وهو الواحد الأحد موجها هذا الخطاب للوثنيين حيث قال " **نستعرض أعمال الله الأحد الحق التي منها صنع أولئك الآلهة الكثيرون الكذبة**"[1] يعني انه دائما ما حاول أيضا تأكيد وحدانية الله وقدرته العظيمة ، وإنكار معظم من قال بتعدد الآلهة لأن هذا أيضا اثر على الدين المسيحي بشكل كبير في ظل معتركه ضد الشكاك في معتقداته .

استطاع أوغسطين الدفاع عن المسيحية بكل ما أوتي من بلاغة اللغة وفقها ، وسرعة البداهة ، ودرس حتى تاريخ الوثنين وطبيعة روحانياتهم ، فمثلا لما رجع إلى لاهوتهم فقد وجد أنهم يعرفون ثلاث تقسيمات في اللاهوت " **اللاهوت الأسطوري أو لاهوت الشعراء والمسرح ، واللاهوت الفيزيائي ، أو الطبيعي ويعنون به لاهوت الفلاسفة ، واللاهوت المدني أو السياسي وهو اللاهوت الشعبي** [2]" وكل هذه التقسيمات عرفت تناقضات واختلافات ، فحاولوا مرات تجسيد صفات وقدرات الآلهة في ادوار مسرحية ، وإما طبيعة التأملات التي عرفت عند الفلاسفة والتي حاولوا تفسير قدرة الآلهة في الطبيعة الحية والمحيطة بهم ، والشيء الآخر أن الشعوب التي وصلتها نوعا من الحضارة المدنية نظرت إلى الحكام والأبطال على أنهم ذوي قدرات إلهية لوظائفهم السياسية ، وحبهم للمجد والسعي وراءه ، وسبب انحطاط روما فيما بعد حبهم للترف ، وتقاليدهم القديمة الفاسدة التي طغت على مجتمعاتهم من جديد .

---

[1]- المصدر السابق ، ص354.

[2]- المصدر نفسه ، ص 275.

حاول أوغسطين رد التهم على الدين المسيحي ، ورد كل تلك الأغاليط حتى أنه أشيع بين المجتمع الروماني أفكار غير معقولة تهين المسيحيين مثل قولهم " أنحبس المطر عن الأرض والمسيحيون هم السبب " وبدأت أعظم حرب بين المسيحيين والدعاة إلى الوثنية والعودة لها ، بعد كل ما حل بالإمبراطورية الرومانية ، ورأى أن جميع التصرفات اللاأخلاقية عادت على روما بالضرر ، من خلال تلك القرابين ، وفساد أحوال الناس من تبذير وترف وإرضاء للحكام وتوسعات استعمارية غير مؤسسة للإمبراطورية نحو الشعوب الأخرى، وكثرة الظلم ، ما جرى على روما غضب الشعوب الأخرى ، وضعف كيان روما داخليا ،. وانهيارها على يد البربر.

أوغسطين لما أصبح أسقفا ازدادت مهمته أصعب مما كان متوقع ، فلقد بدأ برد البدع التي هزت كيان الدين المسيحي في شمال إفريقيا ، فكان لابد له أن يقاوم عدة فرق ضالة منهم المانويين ، والدوناتيين ، والبيلاجين وهم من أهم ما قاوم أوغسطين في مسيرته اللاهوتية الدفاعية ، رغم أنه رد الكثير من مبتدعي الأفكار الضالة في مناظرات وجلسات دينية ، ودافع عن الدين المسيحي وعقائده ومنهم :

- ردعه للمانويين (395م-399م): بعدما تسلم أوغسطين الأسقفية بمدينة هيبون في شمال إفريقيا ، بدأ مسيرته الدفاعية عن الدين المسيحي بالمناظرات القلمية ، واللسانية فناظر عدة مضللين من المانويين منهم" فرتوناتس الكاهن القرطاجي المقيم في هيبون ، وكذلك فليكس

المانوي المقيم أيضا في هيبون "[1] واضطرا للرحيل من المدينة نظرا لكثرة الضغوط التي مارسها عليهم أوغسطين وأتباعه ، واستطاع دحض أفكارهم في جميع أرجاء المدينة وداخلها.

- ردعه للدوناتيين (393م-420م): لما عاد أوغسطين إلى شمال إفريقيا أسقفا وجد بدعا نادت بها الدوناتية بعد الاختلاف الذي كان بنها وبين أساقفة ، وحكام قرطاجة ، وأسسوا لأنفسهم كنيسة خاصة ، وقالوا إنها مقدسة مباركة ، ولما أتى أوغسطين إلى تلك المدن الإفريقية حاول التحاور مع هذه الفرقة ، وإتباعها المنتشرين في كامل المدن التي اعتنقت المسيحية والتي تحمل راية إمبراطورية الروم، إذ أن هذه الفرقة شكلت خطرا كبيرا ، ولكن أوغسطين في بداية الآمر حاول معهم بالحسنى ولكن بقوا في ضلالتهم ، ولجأ أوغسطين إلى القوى التأديبية الخاصة بحكام روما في تلك المدن (قرطاجة وهيبون .... الخ) ، إلى غاية أن عقد اجتماع يخص هذه الفرقة لمزاولة أي قرار يخص تجاوزاتها ، "فكان ذلك بعقد المجلس العمومي برئاسة أوغسطين في عام 411م ، حضر فيه كل من أساقفة الدوناتيين وأساقفة الكاثوليك وتم فيه إعلان فوز الكاثوليكيين "[2]، وتم بذلك قرار دحض هذه الفرقة الضالة وقمعها عام 412م.

- ردعه للبيلاجين من 411م- إلى غاية وفاته: اختلف أوغسطين وبيلاجوس على جملة المبادئ التي تدعو إليها المسيحية ، منها سر المعمودية وانتقال الخطيئة والخلاص منها ،

---

[1]-حنا الفاخوري وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المرجع السابق، ص735.

[2]- المرجع نفسه ، ص736.

فكان رأي بيلاجوس أنه لا وجود للعماد ولا يمكن أن تورث الخطايا ، وبذلك هدم أهم عقيدة مسيحية ، بل رأى أن الخطيئة متعلقة بشخص واحد وهو آدم لا غير وإرادة أي بشري تختلف عن الغير، وهو بذلك عارض الخلاص وتعميد الأطفال ، لأن الثاني ضروري للأول، وجملة العقائد التي عارضها بيلاجوس كانت تمس أهم مرتكزات للدين المسيحي ، وموقف أوغسطين أنه استند إلى ما تحمله الكتب المقدسة من براهين على وجود الخلاص، وتوارث الخطيئة بل إنه " رأى أن نعمة الله تسبق الإرادة البشرية"[1] بمعنى أن المشيئة الإلهية تحرك الإنسان قبل إرادته الحرة ، وما معمودية الأطفال إلا لخلاصهم مع السيد المسيح ، وقد ناظر بيلاجوس مرات ومرات ، ورد معتقداته الباطلة إلى أن لاقته المنية .

وكذلك رد على الملاحدة آنذاك عندما رأو أن الله والعالم واحد حيث قال"**إذا كان الله روح العالم والعالم جسد هذا الروح وينتج عن ذلك حيوان مركب من نفس وجسد ، وان هذا الإله قلب الطبيعة يحتوي الكل ، ومن روحه المبدأ الحي لتلك الماكنة الرحبة تتفرع في كل الكائنات الحية وفقا لأوضاع طبيعتها، وان كان الأمر هكذا فمن ذا الذي لا يفهم نتيجة الكفر والإلحاد ؟**"[2] بمعنى أنه أنكر هذا الرأي القائل بوحدة الوجود مع الخالق ، وان الله جسد وروح هذا العالم ، بل سخر من هذا القول ، ورأى أنه مثلا إن الإنسان الذي يمشي على قدمه فتلك قدم الله ، وهي من جسد الله وروح الله فيها على حسب رأي الكفار ، ولو أن ذلك الإنسان أراد بتر تلك القدم فانه يبتر قدم الرب وبذلك نزع لله جزء من جسده ، وذلك أمر

---

[1]- المرجع السابق ، ص737.

[2]- أوغسطين ، مدينة الله ، الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص 185 .

غير مقبول ، بل يعد تفاهة وتلك الآراء تتناقض مع الطبيعة الإلهية ، بل إن الله وجوده قبل وجود الإنسان .

المبحث الثالث: التأصيل السياسي الأوغسطيني

1 - البعد السياسي لدى أوغسطين:

عرف القديس أوغسطين طول حياته تغيرات عديدة شهد عصره ، وعاش عدة أزمات سياسية وتقلبات اجتماعية نذكر منها:

أ/ أهم التحولات السياسية التي عايشها أوغسطين:

- ظهور المسيحية في روما وأرجائها ، وعدم استيعاب عقائدها من طرف البسطاء من المجتمع الروماني ، وفقدان الإنسان في تلك المجتمعات قدرته على إصلاح واقعه لسبب عدم ثقته بالجانب الروحي الديني أساسا ، وخصوصا لما شاع بين الناس أن الدين المسيحي يدعو إلى الخلاص من شرور الأرض والسعي وراء السعادة الأخروية ، وهذا شيء لم يتعود عليه أهل روما ، وما زاد الطين بلا " هو تبني الفكر المسيحي نظرية الحق الإلهي واستخدامها للتدليل على أن الحكام هم مبعوثو الإرادة الإلهية ومنفذو أحكامها "[1] وهذا ما لم يقبله سكان المدينة ليس كلهم ، ولكن بطبيعة الحال من مست مصالحهم الخاصة من ارستقراطيين ونبلاء .

- الصراع بين الحكومة والكنيسة كان إحدى مشاكل الفترة الوسيطية في أوروبا عظمة ، وهذا اثر على الشعوب ، ومسارها المدني السياسي ، والاقتصادي بالسلب، وظهور نقاط ضعف في قوة الإمبراطورية الرومانية ، وبعدما أعلنت الديانة المسيحية رسميا في روما

---

[1]- عبد الرضا حسين الطعان وآخرون ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، دار الروافد الثقافية ، ط1، بلبنان، 2015م ، ص335.

واقتربت الحكومة من التوافق مع الكنيسة ، شكل هذا أيضا ضعفا من الجانب الديني الروحي بل فقدت الكنيسة طابعها العقائدي الأخلاقي ، وانغمست في ماديات الحياة الإنسانية ، وهذا جعلها تفقد جانبها الروحي الذي وثق فيه الشعب الروماني البسيط.

– عرفت الكنيسة بعد اعتناق **قنسطنطين** للمسيحية خطوات كبيرة نحو الأمام " فأضحى الأساقفة ينتخبون انتخابا شعبيا ، وأصبح لهم بالتدريج نفوذ قوى على المسيحيين في مناطقهم "[1] وازدادت سلطة الكنيسة في المدن الكبرى قوة ، هذا الوضع جعل فئات من الشعب الروماني تفيض غضبا وتصارع حكام مدينة روما جراء ما نتج من ازدياد نفوذ أساقفة المسيحية في مراكز قضائية وإدارية ، وازداد الوضع سوءا بين أفراد المجتمع الروماني الواحد.

– ظهور النظام الإقطاعي بدل العبودي ، واستمراره حوالي ثماني قرون ما أدى إلى ظهور طبقية في المجتمع اشد من قبل ، حيث أصبح هنالك "وظائف دينية يعرف بها رجال الدين وهم أعلى طبقة في التصنيف ، ووظائف عسكرية يعرف بها النبلاء وهم درجة ثانية ، والدرجة الثالثة التي تعد القطرة التي أفاضت الكأس وهي الوظائف الإنتاجية ويعرف بها العبيد والأحرار والحرفيين"[2] الذين سلطت عليهم الإمبراطورية الرومانية بحكامها جملة من القوانين التسلطية منها تزايد الضرائب وبلوغ وطأتها وثقل أعبائها على الفلاحين والمهنيين ، وكذلك ما عرف بالحاجز البشري الذي وضعه حكام المملكة ضد القبائل المعادية من

---

[1]– رسل برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثاني، الفلسفة الكاثوليكية ، مرجع سابق ، ص43.

[2]-عبد الرضا حسين الطعان وآخرون ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، مرجع سابق ، ص322.

فلاحين سمحوا لهم باستصلاح الأراضي ، وعفت عنهم الضرائب لغاية هي رد الطغيان عن المملكة وأصبحوا كدرع دون أن يشعروا ، وأصبحت الأرض فيما بعد لمن يمتلك القوة ، ويستطيع ردع القبائل المعادية لروما.

نستخلص من كل هذه التحولات جعلت من أوغسطين يدخل هذا الصراع ، ويحاول بفطنته فك الجدال ورسم معالم أخلاقية سياسية خاصة بالمتدين ، وبالسياسي بل إنه دافع عن كل من يمتلك الحق المدني في الإمبراطورية الرومانية ، ومن هنا نقول أنه دخل باب السياسة ليدافع عن الدين المسيحي ، وعن كل من إلتزم بتعاليمه ، بل كل ما عايشه من تفكك في الحياة السياسية والاجتماعية في الإمبراطورية الرومانية ، وكثرة الصراعات بين الحكام وسرعة تغيرهم ، وانقسام الإمبراطورية إلى شرقية وغربية ، جعل منه رجلا سياسيا يحاول إيجاد الحلول لتلك المشاكل التي نخرت إمبراطورية روما كليا ، بل فككت حتى الحياة الفكرية والدينية وبالأخص بعد ظهور الدين المسيحي، مما أدى إلى انقسام مذاهب مختلفة ومتعارضة شرقية وغربية ، نتج عنه صراع عقائدي بين الوثنيين والمسيحيين ، وصراع عسكري وازدادت الهجمات الخارجية على روما إلى أن سقطت عام 410م على يد القوطية.

ب/ المشكلة السياسية:

فلسفة أوغسطين السياسية نجدها في" مؤلفه الشهير " مدينة الله " والتي عرفها عندما بدأ الدفاع عن المسيحية ضد اتهامات الوثنية بأنها كانت السبب أو المسؤولة عن تدهور

الإمبراطورية الرومانية ، وخلال كل هذا توصل إلى إبراز أفكاره الفلسفية الجدلية "[1]، بمعنى أنه بدأ خوضه في ميدان السياسة الذي كان بعيدا كل البعد عنه ، واستخدم في ذلك سجيته وعلمه اللغوي الجدلي ، وعقله المتفطن ، ووهب نفسه للدفاع عن الدين المسيحي ضد كل تلك الاتهامات ، واستحدث أهم النظريات القديمة ليستدل بها ، ويؤسس بذلك نظرية سياسية جديدة تعد من أهم ما عرف به أوغسطين إلى اليوم ، ألا وهي التفسير المثالي الذي وضعه من خلال تقسيمه للعالم على انه مدينتين (مدينة الظلام وهي الأرضية ، ومدينة النور وهي السماوية ، أو ما يعرف أيضا بمدينة الشيطان ، ومدينة الله على التوالي)، وتلك المصطلحات دائما ما نجدها على هذا النحو .

فلسفته السياسية درست قضيتين هامتين هما **الصراع بين الوثنية والمسيحية** جراء تعارضهما التام وتقاطعهما الكلي ، وإنكار كل منهما لعقائد الآخر ، ومبادئهما وجزمها بخطأ تلك العقائد والمبادئ وبطلانها ، والقضية الثانية توضيح تصوره **لطبيعة ملكوت الرب** الذي أطلق عليه "مدينة الله" كبديل للمدينة الإنسانية وسنوضحهما أكثر فيما يلي :

<u>القضية الأولى</u>: احتدام الصراع بين مؤمن الدين المسيحي، والدعاة إلى عبادة الأوثان بعدما أعلن إمبراطور روما قسطنطين أن المسيحية ديانة المملكة قاطرة ، والشيء الذي زاد الصراع وتفاقمه سقوط روما على يد البربر ، وبقي الرومان متمسكين بعقائدهم الوثنية، وارتد الكثير ممن آمن بالدين المسيحي ظنا منهم أنه السبب في انقسام ، واندثار قوى الإمبراطورية هو

---

[1]– جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، الكتاب الثاني ، ترجمة جلال العروس ، مراجعة فتح الله الخطيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، (د.س) بمصر ، ص 88.

خضوعهم لتلك الترهات والأساطير المسيحية على حسب اعتقادهم، وتساءل معظمهم عن عدم قدرة الله على حماية مدينة عمرت بتوحيده ، وكيف له أن يقبل الهزيمة لروما؟ وهل قوة آلهة الوثنين أقوى من إله الموحدين؟

ردا على كل تلك الأسئلة التي فتحت مجال الشك واليأس في قلوب حتى المؤمنين بالديانة المسيحية ، كان لابد لأوغسطين من التدخل وإيجاد أجوبة مقنعة ، ورد اتهامات الوثنين والملحدين الذين أشاعوا بين العامة على أن سبب سقوط روما هو إيمانهم بالعقيدة المسيحية التي كانت تقول "دائما إنها ضامنة للسعادة في الحياة والآخرة" [1] وهذا أول مبدأ عارضه أوغسطين إذ أن هذا غير صحيح وباطل ، بل إن كل الأديان التوحيدية تدعو إلى الخلاص في الدنيا لتأمين السعادة في الحياة الأخرى ، وحاول بعد ذلك أن يجادلهم بما لديهم من معتقدات أن ألهتهم غضبت من جراء نكرانهم لها ، فقال لهم " **وهل من الفطنة تسليم روما إلى أولئك الآلهة المنهزمين ليؤمنوا لها النصر**"[2] فكيف لهم أن يقبلوا الهزيمة بعدما كانت روما كلها خاضعة لهم ، بل رأى أنها سخافة لا يمكن أن يقبلها أي احد ، بل إنها لم تستطع حتى حماية نفسها من عدوان البربر القوط .

حاول أيضا أوغسطين إرجاع الصورة التي شوهت من طرف بعض رجال الدين ، وخدام الكنيسة ، الذين إلتمسوا مصالحهم الخاصة بواسطة الدين من حكام الدولة ، واخلطوا كل شيء ، مما جعل اعتقاد العامة أن هؤلاء أصحاب مصالح خاصة ، ودينهم دين مصلحة

---

[1]- المرجع السابق ، ص351.

[2]- أوغسطين ، مدينة الله ، ج1 ، المصدر السابق ، ص13.

خاصة ومنفعة ، واستعمل بذلك أسلحة الترغيب ، ودعا إلى لم الشمل ومساعدة المتضررين من الحرب واقر بذلك في كتابه " مدينة الله " حيث قال " **إن الدمار والنهب والحريق والبؤس وكل ما ارتكب من فظائع في كارثة روما الأخيرة ، فهو ما تسببت به الحرب إنما الغريب فيها والجديد هو ذلك التحول من شراسة لدى البرابرة إلى شفقة تختار وتعين لجماهير الكنائس الأرحب والأوسع لتكون لهم ملجأ يأوون إليه ، ويكونون في مأمن من الضرب والخطف.**" [1] إذا حتى الكنائس ساعدت في لملمة جراح روما بل إن البربر لم يعتدوا عليهم في الكنائس المسيحية .

القضية الثانية: هي بناء تصور جديد لمعنى ملكوت الرب الذي أطلق عليه أوغسطين "مدينة الله" وهي المدينة الإلهية والتي يتمنى كل إنسان البلوغ إليها ، وهي بذلك مكان للسعادة والحقيقة المثلى ، حيث رأى أن الحياة الأبدية تتأسس إلا في مدينة الله التي هي أعلى من الدنيا وأعظم منها ، بل هي مكان لكل الأشياء التي يطمح لها الإنسان ، والإختلاف الذي يحدد بين المدينتين (الأرضية والسماوية) في طبيعة أعمال البشر ، وكل من سعى وراء الخير والعفة يصل إلى المدينة السماوية ، وفيها يتحقق العدل والأمن ، أما المدينة الأرضية ففنائها يوم القيامة وتصعد إلى جماعة الشياطين والأباليس أما المدينة السماوية هي الكنيسة وما تحمله من روحانيات ودعوة إلى الخلاص ، والدولة تتحقق في الأرض مثلها مثل الكنيسة لكن الاختلاف " أن الدولة الواقعية هي التي نعيش فيها ، أما

---

[1]- المصدر السابق ، ص 17.

الكنيسة فليست المنافس للدولة بل هي أيضا المجتمع وعاداته الروحية "[1]وهي سبيل للخلاص وهي الصلة بين الله وعبده لأنها إحدى وسائل الشفاعة ، والتوبة وبها نصل الى السعادة الأبدية في المدينة السماوية .

يرى أوغسطين أن تصوراته حول مدينة الله صادقة ولن يتراجع عن هذا الطرح مهما كان ، وهو يهب نفسه للدفاع عن هذا المبدأ ، حيث يقول" **إن مدينة الله المجيدة سواء كانت تتابع حجتها وتعيش إيمانها بين الأمم في الأبدية التي تتوق إليها بصبر حتى يعود القضاء إلى العدل ، والذي ستظفر به أخيرا هذه المدينة ، سلام تام ... تعهدت الدفاع عنها من أناس يفضلون آلهتهم على مؤسسها الإلهي**"[2] بمعنى أن تصوراته حول مدينة الله مبدأه العام في فلسفته وفكره السياسي ، ولن يتخلى عليها وسيدافع عن هذا الطرح ، ومتأكد من نصرة مدينة الله يوم القيامة.

هنالك اختلاف في مصدر فكر أوغسطين حول المدينتين التي افترضهما ، فهنالك من عاد " بأصلهما في المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون ، وهنالك من قال بالتقابل التوراتي بين بابل والقدس، وهنالك من أعادهما الى التصورات المانوية "[3] والشيء المحتمل أن أوغسطين تبعا لتعلمه وتتبعه العلمي والفكري ، انه اخذ من المانوية فكرة المدينتين

---

[1]– عبد الرضا حسين الطعان وآخرون ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، مرجع سابق ، ص 351.

[2]– أوغسطين ، مدينة الله ، ج1 ، المصدر السابق ، ص9 .

[3]– عامر عبد زيد، التأويل اللاهوتي للتاريخ عند أوغسطين ، من كتاب فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم ، تأليف مجموعة من الأكاديميين ، إشراف علي عبود المحمداوي، دار الروافد الثقافية ، ط1 ، سنة بلبنان ، 2012م ، ص 96.

والغاية كما قلنا هو رد الاتهام عن المسيحية أينا كانت الأسباب ، ورؤيته أن هنالك مدينتين مدينة الظلام ومدينة النور التي فيها الخير والفضائل والتي ترتكز على نقطتين هما :"

– وجود حقبتين زمنيتين تجمع كلا المدينتين الأرضية والسماوية الأولى من عهد قابيل ابن ادم إلى عهد إبراهيم "عليهما السلام" وفيها كانت المدينتين مختلطتان.

– ما بعد إبراهيم فالمدينة السماوية تمثلت باليهود، والأرضية تمثلت بباقي الإنسانية و كانت ذروتها الإمبراطورية الرومانية ، والفاصل بين الحقبتين هو ظهور المسيح ."[1]

يعد هذا الفكر الأوغسطيني الشامل اتجاه نظريته التاريخية ، والتي تخدم بصورة خاصة توجهه السياسي بمعنى انه استمد من هذا التقسيم الذي وضعه للمدينتين حجة لقوله ان عالم الأرض مملوء بالشرور والمسيحية خلاص البشرية ، واستطاع بناء جدار رادع ضد كل الاتهامات التي عرفتها المسيحية .

بل إنه ارجع جميع الشرور إلى مساعي الإمبراطورية الرومانية ومطامعها الأرضية ، بدل السعي وراء الخلاص ، والمحبة والخير ، وما فعله شعب روما شيء يدعو إلى التسلط بدل المواطنة كما يطنون ، واتبعوا بذلك شهوات الأنفس ، وخلاص بلادهم في الأرض وهذا ما شجع عليهم العدوان الخارجي ، وذلك لظلمهم الدنيوي للشعوب الأخرى ، وكبرهم وكثرة شرورهم وحبهم للذات واحتقارهم لله ، جعلهم يفقدون كل شيء .

إلتقاء المدينتين في الحياة الراهنة شيء حتمي ، وذلك الاختلاط بين الشعوب ظاهر وبما في ذلك جميع الأعمال التي يشترك فيها البشر ، فمثلا "الخيرات المادية عند أهل

[1]– المرجع نفسه ، ص 97.

المدينة الأرضية غايات يتنازعون عليها ويستمتعون بها لذاتها ، وعند أهل المدينة السماوية هي وسائل يستخدمونها لصيانة حياتهم وتحقيق الغاية الحقة التي هي الفضيلة والكمال الروحي" [1] وهذا المبدأ أكد عليه جميع من استمد حقائقه المعرفية من الكنيسة ومؤسساتها وكل من خدمها ، وخدم الدين المسيحي ، والكنيسة مفوضة لبناء مدينة الله وهي **مدينة الايمان** والشعوب المؤمنة، والأناس الورعين، أما المدينة الأرضية **موطن السلطات السياسية** وموطن الظلم ومدينة للأشرار والشياطين ، وزوالها لا يختلف عليه اثنان، أما المدينة السماوية فهي خالدة خلود القديسين " وبالطبع المدينتان متناقضتان فهما تقومان على مبدأين متغايرين تماما (حب الذات ، حب الله) لكن هذا التناقض لا ينفي تداخلهما في هذا العالم " [2]وهذا الزمان وشعب المدينة السماوية ينتفع بخيرات المدينة الأرضية إلى حين الخلاص .

لقد كان يرى أوغسطين أن " الإنسان من حيث هو في جوهره عاص آثم يحقق الخلاص بواسطة الكنيسة "[3] بمعنى أن أتباع الشعائر الدينية المسيحية والمبتعدين عن الشر غير كاف لهم ، بل يجب أن يجدوا الوسيلة للوصول للرب بفضل الكنيسة وقداسها وشفاعتهم وهم القادرون على ذلك ، ويستطيعون التوسط للمؤمن مع ربه والدعوة له بالخلاص والنجاة .

---

[1]–يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، المرجع السابق. ص 49 .

[2]– علي زيعور : اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، المرجع السابق ، ص 226.

[3] – برتراند رسل : حكمة الغرب الجزء الأول عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي ، ترجمة فؤاد زكريا دار علم المعرفة ، (د.ط) الكويت ، 1983م ، ص 199 .

نقف عند موقف تناقض عندما أشار أوغسطين في كتابه أن كل العالم يمشي وفق العناية الإلهية فكيف يكون لله مشيئة الشر في الأرض ؟ وضح أوغسطين هذا الموقف من خلال أنه لم "يرم إلى القول بأن مدينة الأرض أو مدينة السماء كما صورها تنطبقان عمليا على أية واحدة من المنظمات الموجودة فعلا ، فلم تكن الكنيسة بوصفها مثالا ملموسا للمنظمات الإنسانية هي نفسها مملكة الله التي عناها ، كما لم تكن الحكومة الدنيوية هي قوى الشر التي عانها في حديثه عن مملكة الشيطان ، إذ لم يكن متوقعا من احد أن ساسة الكنيسة الذين اعتمدوا على قوة الإمبراطورية في محاربة الإلحاد ، أن يهاجم الحكومة فيصفها بأنها تمثل مملكة الشيطان فقد كان أوغسطين كسائر المسيحيين يؤمن بأن كل سلطة أرضية قائمة بأمر الله وان كان يؤمن بأن إثم الإنسان أدى بالضرورة إلى استعمال الحكومة للقوة والعنف ، حيث كان هذا العنف إذن دواء سماوي أرسل لعلاج الخطيئة ويترتب على ذلك أنه لم يتخيل أن هاتين المدينتين قابلتان للتجزئة بل ذهب إلى المدينة الأرضية في مدينة الشيطان والأشرار من الناس جميعا ، والمدينة السماوية هي المجتمع الذي يضم من تطهرت روحه وتخلص من الخطيئة ، في هذا العالم والعالم الأخر ، وهاتين المدينتين ستختلطان طول الحياة ولا تنفصلان إلا يوم الحساب "[1] معنى ذلك بكل اختصار أن خلاص الإنسان دنيويا وأخرويا هو بخلاصه من خطيئة آدم وكل ذلك مشيئة الله ، وإرادة الإنسان محور لذلك ، والكنيسة وسيط بين الإنسان وربه وسبيل كل إنسان صالح للخلاص.

---

[1]– جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، الكتاب الثاني ، المرجع السابق، ص. ص 78– 79.

2- اثر اللاهوت على السياسة الأوغسطينية:

أ / التفويض الإلـهي وسلطة الكنيسة:

ساد في القرون الأولى للحضارات القديمة (الفرعونية ، الصينية ، الهندية ، البابلية) فكرة ألوهية الحاكم ، وتعني سلطة الإله مجسدة بواسطة الحاكم في الأرض ، واستمرت هذه النظرية السياسية واستخدمت عدة مرات " لتبرير سلطة الحاكم وضمان خضوع الرعية لهم وهو ما جعل الحكام في ظل تلك النظرية يتمتعون بسلطة مطلقة لا تلقى من المحكومين إلا الخضوع والإستكانة ، ففي ظل الاعتقاد بألوهية الحاكم لابد أن تغيب القيود على السلطة" [1] ويصبح للحاكم كافة الصلاحيات في تسيير شؤون العامة يكل حرية وبدون قيود ، وما على العامة إلا الطاعة ، وإلا حلت عليها اللعنة من الإله في حالة مخالفة أوامر الحاكم.

هذه الفكرة بحد ذاتها استعادتها الديانة المسيحية ، وسميت بنظرية الحق الإلهي المباشر أو ما يعرف **بالتفويض الإلهي** لمصالح الرعية للحاكم ، وهي مشابهة نوعا ما لما عرف في تلك الحضارات القديمة التي ذكرناها ، والاختلاف عن ما كان هو نكران عبادة الإمبراطور وأصبح مثله مثل البشر ، ولكنه مفوض أن يحمل مسؤولية تولي سلطة الشعب الروماني وتدبير شؤونه بالاستناد على ما تقتضيه الرعاية الإلهية .

---

[1]- غسان سليم عرنوس : القيود على السلطة في ظل النظريات الدينية (دراسة مقارنة بين النظريات الثيوقراطية والشريعة الإسلامية)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27 ، العدد3 ، كلية الحقوق ، بجامعة دمشق ، 2011 م ، ص578 .

سلطة الحاكم مستمدة من عند الله " فالله اختار هذا الإنسان وأودع لديه السلطة فهو يستمد سلطته من الله مباشرة ، ودون تدخل إرادة أخرى في اختياره"[1] أي إنه يحكم بمقتضى الحق الإلهي المباشر ، وآباء الكنيسة آنذاك دعوا إلى احترام هذا المبدأ السلطوي وعدم الخروج عنه ، لأن الحكام هم مفوضون من عند الله الواحد، والخروج عنه يعد عصيان وخطيئة .

أوغسطين كان له موقفه مثل أباء الكنيسة في عصره ، حيث رأى أن كل سلطة تأتي من عند الله ، بمعنى أن جميع ما نتفق عليه حول أساسيات النظام المدني لابد أن تكون خاضعة لما شرع الله ، وهذه النقطة تشارك فيها أوغسطين مع بولس الرسول الذي قال" لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة أفتريد أن لا تخاف السلطان؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادم الله للصلاح ولكن إن فعلت الشر فخف لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر لذلك يلزم أن يخضع له "[2]، وبذلك شرع سلطة الحاكم سلطة **التفويض الإلهي** ، ولكن هنالك تناقض في كلام أوغسطين كيف لله أن يترك الكون تحت سيطرة البشر وخارج عنايته ؟ فرأى أوغسطين أن عناية الله دائمة مستديمة على كل حضارة ، وفي كل زمن ، وتفويضه للبشر

---

[1]- المرجع نفسه ، ص580.

[2]- رسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح 13

في الأرض لتسيير بعض أمورهم الدنيوية ولكن الأقدار بيده وهي جملة الأمور التي لا يعرفها الإنسان مستقبلا تخصه هو بالذات وهي تتماشى مع العناية الإلهية ، وبهذا نقول أن أوغسطين له وجهتين في تصوراته السياسية الخاصة بالسلطة ، حيث أن الله " يهب للسلطة الشرعية التامة دون أن يضمن الممارسة المشخصة لهذه السلطة ، ومن جهة أخرى يفسر القصد العام للعناية لحل عمل مشخص في السياسة "[1] وذلك فسره أوغسطين أن المسيحي لا يستطيع بدون الله عمل أي شيء فيما يخص نظامه المدني ، إذ لم يرجع إلى تشريعاته العامة ، وفي نفس الوقت يحمل نفسه المسؤولية عن أي ذنب يخالف به الله ، ولقد نادى المسيحيون في زمن أوغسطين بإتباع النظام ، لأن سلطة الحاكم إلهية ، وان خالفوا الحاكم خالفوا أوامر الله .

أوغسطين دائما ما دعا الكنيسة ورجالها بالاهتمام بالدين وشرائعه ، وبالجانب الروحي والابتعاد عن كل المسؤوليات السياسية والمناصب الإدارية ، ولكن عليهم الاعتماد على قوة السلطة لردع الوثنيين والهراطقة .

المسيحية عرفت انفصالا في بداياته مع الدولة الرومانية والتي اعتبرتها مصدر الشر والآثام ، ولكن فيما بعد تغير الأمر " وكان على المسيحيين أن ينتظروا مجيء مملكة الله بحيث اضطرت السلطات الكنسية إلى التصالح مع العالم ، وان العملية الطويلة التي توصلت بها الكنيسة إلى التفاهم مع الإمبراطورية أسفرت على وضع تبرير للسلطة السياسية

---

[1]– جان توشار ، تاريخ الافكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ترجمة ناجي الدراوشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، ط1 ، بسوريا ، 2010 م ،ص171.

القسرية ومجموعة من الموجهات لأجل وضع الكنيسة في صميم المجتمع المدني" [1] بمعنى أنها حاولت بناء تفاهم ودي مع كل أطراف المجتمع المحيطة بها، واستغلال الأوضاع لبلوغ الخلاص المنشود ، بعدما اقروا أن حياتهم في هذه الأرض قضاء وقدر ويمكن للكنيسة أن تؤدي دورها على أكمل وجه في التعامل مع جميع القضايا الاجتماعية .

موقف أوغسطين في شأن الكنيسة وقوانينها في المجتمع الروماني ، أنها مماثلة لمبدأ الإيمان ونابعة من تعاليم الكتاب المقدس ، أي أنها تملك السلطة الروحية المماثلة للسلطة المدنية ، وأي دولة لا تكون فيها العبادة متماثلة مع تعاليم الكنيسة والكتاب المقدس ومبادئ الإيمان لا نقول عنها أنها دولة ، ولا شعبها شعب حضري ، ولا يستحقون الخلاص ، بل هم عبدة الشيطان وأرواحهم مدنسة جميعا.

سبب دمار روما على حسب رأيه هو عجز أهلها و عدم اعترافهم بحاجتهم إلى الله لأنه المصدر الوحيد للعدالة ، وبناء دولة حقة من خلال تعاليمه الدينية ، والشيء المتعارف عليه أن الطبيعة البشرية هي التي تفرض الصراعات ، ولكن قد تفرض عليها أيضا نوعا من السلم والنظام والاستقرار بفعل إتباع التعاليم المسيحية .

نستخلص أن أوغسطين كان واقعيا في أطروحاته السياسية لأنه أمن مصالح الكنيسة بقوة الدولة الرومانية ، في عالم مملوء بالهراطقة والمبتدعين ، ورأيه أن الكنيسة مؤسسة تعمل على إخلاص العلاقة بين الله وعباده ، وطقوسها جملة من القواعد التي تؤسس علاقة

---

[1] –جورج اهرنبرغ : المجتمع المدني " التاريخ النقدي للفكرة " ترجمة علي حاكم صلاح ، وحسن ناظم، المنظمة العربية للترجمة ، ط1 لبنان ، 2008م ، ص 75.

البشر بالخالق وسعيهم للوصول إلى ربهم بالخلاص ، وقد ناهض أوغسطين فكرة أن الكنيسة منفردة عن العالم ، أي أن قداسها أطهار، ولا يمكن لهم الاختلاط مع العامة من الناس ، بل دعا إلى الابتعاد عن هذا التعصب ، إن المسيحية عامة تدعو إلى التحالف مع الله ، حيث رأى أن الكنيسة الحقة هي جسد المسيح عيسى ، وهي ظله في الأرض وشعاع كماله.

قدر البشرية التعايش مع الشر والاستئناس بالكنيسة لأنها ملجأ الصلاح الوحيد في الأرض، وهي موطن الشعوب المؤمنة حيث قال أوغسطين" **توحدين بين المواطنين والشعوب بأسرهم مذكرة إياهم بأنهم من أصل واحد**"[1] وتحالف الكنيسة مع الدولة تحقيق لغايات الله عبر استيعاب وتحويل وتوجيه الصلات التي تشد البشر ببعضهم البعض ، بعد أن فقدوا صلتهم الجوهرية التي كانت قبل خطيئة آدم ، وتأييد أوغسطين للتحالف مع السلطة يعد تصورا لاهوتيا يخدم البشرية جمعاء على حسب رأيه ، وطبيعة الإنسان التي تحتاج إلى التعاون من اجل معرفة أسرار النجاة والخلاص ، والكنيسة ملجأ لذلك وطريق للخلاص من الخطيئة .

ب/ الدولة والقانون:

وجود الدولة حسب أوغسطين يعد "ضرورة للحياة الإنسانية المتحضرة ومهمتها الأولى مد يد العون للكنيسة في ممارسة تعاليمها ونشر الهداية وحماية رجال الدين"[2] بمعنى أنه صاغ لنا نوعا من التفاهم بين الدولة والكنيسة ، بين الدين والسلطة النظامية ، وكل منهما يرعى

---

[1]– أوغسطين : خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، المصدر السابق ، ص 71.

[2]– المصدر نفسه ، ص 85.

مصالح الآخر ، حيث إنه شرع قانون لحماية المسيحية باستعمال قوة الدولة ، وبذلك هو أول من نظر لمحاكم التفتيش المعروفة مستقبلا .

تعد الكنيسة على حسب رأي أوغسطين الدولة المقدسة التي رأى فيها أنها ضرورية على بخلاف انه يدعوا إلى الخلاص ودائم الكره للمدينة الأرضية الشيطانية حيث رأى" أن الطبيعة الفاسدة لكل إنسان تقتضي وجود دولة أرضية قوية للسيطرة على الشر البشري لذا فإن الدولة الأرضية شيء لابد منه ، مادام الصراع التاريخي بين الخير والشر مستمرا أي خلال الزمن الفاصل بين السقوط ويوم الدينونة"[1] وبهذا نقول أن أوغسطين لم ينكر وجود دولة مدنية مدبرة ومسيرة للنظام البشري على الأرض ، وقد رأى في الكنيسة الدولة والملجأ وطريق الخلاص ، وتستطيع أن تبعد الشر إلى حين ، وان خرجت عنها لعنت إلى يوم القيامة حيث يقول أوغسطين " **إذا انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية وظننت أن حياتك خلو من كل شائبة فلن تحيا لأن غضب الله يحل عليك ، وقد خرجت عن وحدة المسيح ، عش في الكنيسة حياة صالحة فلا تؤذيك أخطاء الأخريين طالما أن لكل إنسان مسؤولية خاصة**" [2] ورأى كذلك أن الشيء الذي يجعلنا نبني هذه الدولة هو نتيجة الخطيئة التي حتمت ذلك وهي التي حددت الشعوب وخلقت الطبقية في المجتمع ، وهي عقوبة سلطها الله علينا

على الحكام أن يكونوا رجال الله في هذه الأرض والمواطنون دعامتهم في طاعة الله وإرضاءه، وعلى الحاكم إتباع تعاليم الكتاب المقدس والشرعية الكنسية.

---

[1]- غنار سكيربك ، نلز غيلجي: تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين ، المرجع السابق، ص256.

[2]- أوغسطين : المصدر السابق ، ص. ص69 – 70.

خلاص البشرية من شرور الأرض يمكن في إتباع الكنيسة وأطهارها القداس ، وهي دولة تدعو إلى العدل المماثل لعدل الرب في السماء، ومصدره عناية الله الشاملة .

مبدأ العدالة كامن في النعمة الإلهية بل " إنه ليس عمل الإنسان الذي وقع في الخطيئة ولا هي النصيب المشترك الذي يميزه ، فحتى الخير الذي يتناسب مع طبيعته العاقلة يفلت منه الغالب ، ولا يوجد علاج لهذا الموقف بين المصادر الملائمة للطبيعة البشرية ، إن خلاص الإنسان بما في ذلك خلاصه السياسي لا يأتي له من الفلسفة كما يرى أفلاطون بل يأتي من الله إذا إنها النعمة الإلهية ، وليست العدالة البشرية هي رابطة المجتمع "[1] بل عدالة الرب الكامنة في نفوس الخيرين في الأرض.

تعد العناية الإلهية هي القانون الأزلي الذي بفضله تنظم كل الأشياء تنظيما كاملا في هذا الكون ، ويقصد به أيضا القانون الإلهي الذي بذاته يضمن العدالة في مدينة الله ، أما في الأرض فهو مطبوع في الذهن البشري ويستطيع أن يعرفه جميع الناس ، ويقابله القانون المؤقت الذي يعرف التغير وهو مفروض للصالح العام ، ويتحكم فيه البشر وظروف الزمان والمكان وأهواءهم الخاصة ، وهنا يختلف طبيعة فهم هؤلاء للقانون الأزلي وهل يستطيعون مماثلته على القانون المؤقت؟ .

وأوغسطين لما تكلم عن القانون الأبدي رأى أنه لابد أن يكون معه جزاءات ملائمة في حالة مخالفته ، وإلا فلن يكون قانونا فعالا يضمن العدالة الإلهية ، ولكن للإنسان فرصة تصحيح الخطأ والتوبة لأن هنالك حياة أخروية يتم فيها الجزاء الحقيقي ، وقد وجد أوغسطين

[1]– ليو شتراوس، جوزيف كروبسى: تاريخ الفلسفة السياسية الجزء الأول، من ثيوكيديديس حتى اسبينوزا ، المرجع السابق، ص 272.

صعوبة في إفهام هذا القانون للناس بحيث " إذا افترضنا أن الله يعرف كل الأشياء قبل أن تخرج إلى حيز الوجود فإنه ينتج عن ذلك بالضرورة ما أراد، إن الناس يفعلون باستمرار طبقا لهذه المعرفة الإلهية ، لكن من الصعب وفقا لهذه الشروط أن نرى كيف يمكن أن يكونوا مع ذلك أحرار؟ "[1] بمعنى تطابق الحرية والإرادة البشرية مع العناية والإرادة الإلهية شيء يبدو فيه تناقض .

قد رد أوغسطين على ذلك بقوله " **إن الله يعرف كل شيء قبل أن يكون ، وإرادتنا تعمل ما نعرف ، وكل ما نشعر به بأننا لا نعمله لأننا لا نريد ، إما أن يأتي كل شيء عن طريق القدر فهذا ما لا نقوله**"[2] بمعنى أن إرادة الإنسان تعمل ضمن العناية الإلهية والله ترك الحرية في اختيار مبدأ الخير والشر في الأفعال الإرادية ، أما الأفعال التي لا يعلم عنها أي شيء فهي خارج نطاق إرادته ، بل هي أقدار الله ، وإرادة الله لا يحكمها الزمن الذي يعرفه البشر بل إن الله جعل العناية وفقا لقدرته مراعيا الطبيعة البشرية .

مازال الأمر غامضا فيما يخص القانون الأزلي لأن الإنسان " يواجه اختيارا بين بديلين لا يمكن قبولهما من وجهة نظر المجتمع السياسي ، إذ يستطيع المرء أن يؤكد أن الناس أحرار ، وينكر أن الله لديه أي معرفة بالجرائم التي ترتكب ضد القانون الدائم الأزلي ، أو الأفعال العادلة التي يتم القيام بها وفقا له ، غير أن القانون الدائم الأزلي يترك بدون ضامن و يسلب بالتالي من أي وسيلة يستطيع عن طريقها أن يكبح بفاعلية المخطئين ، ويطور

---

[1]– المرجع السابق ، ص277.

[2]– أوغسطين : مدينة الله ،الجزء الأول ، المصدر السابق ، ص 233.

العادات الفاضلة ، وان المرء يستطيع أن يؤكد المعرفة الإلهية السابقة وينكر الإرادة الحرة بيد أن الناس لا يكونون في هذه الحالة مسؤولين عن أفعالهم ، وتفقد القوانين علة وجودها" [1] وبذلك لا نعرف العدالة أبدا.

ردا على ذلك الله خلق في الإنسان الطبيعة الخيرة ، وترك الطبيعة الشريرة وفقا لإتباعه إما أهواءه أو الشيطان والله غير مسؤول عن خطايا الإنسان ، فإذا عمل خيرا فهو لله وإذا عمل شرا فهو من نفسه ، وكلاهما يخضعان لإرادته الخاصة ، ولا يمكن أبدا أن نخلط بين القدر وبين الإرادة الحرة ، والقانون لا يفقد صلاحيته لأنه شرع معه العقاب الجزائي إما في الدنيا وإما في الآخرة .

أما العلل الطبيعية فهي تسير وفق الإرادة الإلهية لأنها تتماشى مع الحتمية والضرورة ، والنظام الكوني ولكن الإنسان ليس كمثل الطبيعة المحيطة به ، ولو كان كذلك لطبقت عليه مثل تلك الإرادة الخاصة بالعلة الطبيعية .

حكمة الله في كونه أنه خلق الخير والشر وترك للإنسان حرية الاختيار ، وحمل نفسه مسؤولية الأمور التي لا علم للإنسان بها مستقبلا تغير حياته دون علمه ، ونظام الدولة وحكامها وفقا لعنايته أيضا حيث قال أوغسطين " **للإله الحقيقي وحدة القدرة على التعرف بالممالك وقادتها ، هو الذي يعطي الصالحين ، دون سواهم ملكوت السموات وملكوت**

---

[1]–ليو شتراوس ، جوزيف كروبسى: تاريخ الفلسفة السياسية الجزء الأول ، من ثيوكيديديس حتى اسبينوزا ، المرجع السابق، ص277.

الأرض للصالحين والأشرار بحسب ما يشاء ، ولا يقبل بأي ظلم"[1] وقد آمن أنه سيكون في الأرض الشر والظلم ، لكن اقل بين الناس إذا اجتمعوا تحت راية الإيمان المسيحي.

أوغسطين لم يرى في الأرض السلام الدائم بل آمن بالانسجام والنظام ، فلا العادل يضمن لنفسه أنه لن يخوض حروبا ولا الظالم يكبح نفسه عن الشر ، فذلك أمر لا مفر منه والحروب ستقل إن اتبعت البشرية الدين المسيحي ، لأنه الذي يضمن السلام في مدينة الله فكيف لا يضمن ولو القليل في الأرض؟ لكن التعايش في الواقع شيء غير مستحيل بقبول ما أتت به العقائد المسيحية.

تكلم أوغسطين عن القانون الطبيعي الذي هو أساس الحياة الإنسانية وهو قانون يكشفه الناس بقدراتهم العقلية ، ويستطيعون احترامه واحترام الأخر ، ويعطي كل ذي حق حقه ، ولا يسلط البشري على الآخر الشر مهما كان ، ويعد عصيان آدم لله انحطاط من المرتبة التي وضعه الله فيها ، فأصبح كل البشر لا يمتلكون تلك الصفات الأزلية وأصبح الإنسان لا يميز بين ما يمليه القانون الطبيعي ، فوجب عليه تقرير قانون آخر وهو الوضعي أو المؤقت لوقف العابثين والمتطرفين على القانون الطبيعي ، وتوفير الأمان للأخيار والصلاح .

القانون الوضعي " يجب أن يصدر عن القانون الطبيعي فليس القانون الجائر قانونا ولا يمكن أن يخلق لنفسه حقا ، ويفرض على الرعية واجبا ، لأن أساس الحق العدالة ، لا منفعة الأقوى ، وأساس استخدام القوة أنها وسيلة جعلتها الخطيئة ضرورية لتأييد العدالة والقانون الوضعي أضيق من القانون الطبيعي فهو لا يتناول سوى الأفعال الظاهرة ، ويغض

---

[1]- أوغسطين: مدينة الله ،ج1، المصدر السابق ، ص 267.

الطرف عن الشرور ليتفادى شرورا أعظم تاركا لله المعاقبة ... والقانون الوضعي تابع إلى ظروف الزمان والمكان فإن من العدل تدبير الأخلاق بحسب اختلاف أحوال الإنسانية الخاطئة ، فلا ينبغي اتهام شعب بالرذيلة إذا ما بدت لنا حكمته أدنى من حكمة شعب آخر أو عصر آخر إن العدالة ثابتة ولكن الناس متغيرون"[1] بمعنى أن طبيعة القانون الوضعي لابد أن تتوافر فيه شروط هي التماشي مع القانون الطبيعي الذي يضمن الحقوق الظاهرة للعامة ويحاول تحقيق العدالة مع مراعاة أحوال الناس بإختلافها.

نستطيع استخدام القوة لتحقيق العدالة لأن المدن التي تحاول استرداد حقوقها والسعي وراء العدالة ورد الظلم عنها ، فلابد لها من استخدام عامل القوة ، وحتى الحاكم له سلطة استخدام القوة في حالة العصيان ، ومخالفة أوامر الدين حيث يقول أوغسطين " **تلك السلطة الإلهية قد وضعت بعض الاستثناءات في تحريم القتل ، وبأمر الله أحيانا بواسطة شريعة عامة أو من خلال وصية مؤقتة أو خاصة ، على أن ذلك العمل لا يكون أدبيا – قتلا- لأن مهمته تأتيه من السلطة وليس سوى أداة كالسيف الذي يضرب به ، أو لم يتجاوز الوصية أولئك الذين بأمر من الله عملوا الحرب أو تمرسا بالسلطة العامة عاقبوا بالموت بموجب الشريعة ، أي وفقا للعدل**"[2] وبهذا نرد الشر لان استمراره أكثر بلاءا من بقاءه والتفرج عليه .

---

[1]- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط ، المرجع سابق، ص. ص 50 -51 .

[2]- أوغسطين : مدينة الله،ج1، المصدر السابق ، ص41.

الامتناع عن رد العدوان يزيد الأشرار في طغيانهم، وفي حالة اعتداء ملك على أمة بدون حق فموت جنده وزر على رقبته، وله جزاء هؤلاء بعد موتهم.

لما تكلم أوغسطين عن الملكية جعلها شرطا من شروط قيام الدولة حيث يقول " **الدولة هي مجموعة عاقلة تتوحد حول تملك مشترك ، وهادئ لما تحب**"[1] وأكد على ضرورة الملكية الفردية ، لأن الله عمر البشر على الأرض ولهم كافة الصلاحيات في ملكيتها التي ترجع لله في آخر المطاف ، والملك ليس هو المالك الأول ، وأجاز بذلك الملكية الشرعية والشراء والبيع ، وحرم السرقة واغتصاب أموال الناس ، والملك له صلاحية توزيع خيرات الأرض على الرعية عامة بقدر من العدالة .

أوغسطين عايش دمار روما والإمبراطورية جمعاء فنظرية الدولة عنده " نواميسها مستمدة من البعد اللاهوتي والتاريخي والسياسي ومسارها صراع بين مدينتين وحقيقتها رد الاعتبار إلى الديانة المسيحية "[2] ذلك ما سعى إليه أوغسطين وهو خلاص المسيحيين من الخطيئة والعيش في مدينة الله الموعودة ، فكل ما نظر له يعد مثالية سعى إليها ولكن الواقع خالف ذلك، بل كانت سلطة الحاكم والبابا اشد من قسوة الاعتداءات الخارجية، وعرفت أوروبا آنذاك أحلك أيامها، وكثر الفقر وزاد عناء البسطاء ، وقمعت الحريات، عرفت السياسة المسيحية نوعا من التخفي وراء السلطة الحاكمة وتبنت شعار " كل سلطة منبثقة من الله

---

[1]– المصدر نفسه ، الجزء 3 ، ص161.

[2]– عفيان محمد : الدولة بين الناسوت واللاهوت القديس أوغسطين نموذجا ، مجلة تطوير، العدد2 ، تصدر عن مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بجامعة سعيدة ، منشورات دار الحمراء للنشر والتوزيع ، بلعباس (الجزائر) ، سبتمبر 2015 ، ص 106.

فكانت منطلقا هائلا لفيض من التأويلات التيولوجية والسياسية التي وظفت لصالح علاقة الكنيسة بالدولة بعد ذلك "[1] بمعنى ان السلطة الشرعية هي التابعة لله وبعدها تحول المسار إلا أن التاريخ عامة تابع لمشيئة الرب.

3- الأوغسطينية (تأويلات وقراءات)

فلسفة أوغسطين عرفت تعددا في الفهم والقراءات من خلال تراثه الفكري نذكر منها:

1- تعتبر الفلسفة الأوغسطينية تجسيدا للتوفيق بين الفلسفة واللاهوت وهذا المبدأ أخذه عنه **القديس أنسلم** في القرن الحادي عشر، حيث اتبعه بذلك مستندا إلى قوله " آمن لتتعقل" والشيء الذي جعل أنسلم يسلم بهذا الطرح أنه خلال زمانه عرف الجدال بين " تيارين متعارضين دعا الأول إلى ضرورة إخضاع العقيدة إلى أشكال القياس وقواعد المنطق أي إخضاع الدين للعقل"[2] ودعا الثاني إلى إنكار قواعد المنطق العقلي في بعض الأمور العقائدية ولابد من فصل اللاهوت عن الفلسفة واستحالة إخضاع الإيمان لقواعد الجدل العقلي .

وهنا استرجع القديس أنسلم رؤية أوغسطين الواضحة في هذا الصدد مبينا أن الإيمان لا يتعارض مع العقل ، ولفهم الكتاب المقدس يجب أن نؤمن مسبقا بأنه كتاب منزل منزه لا تشوبه شائبة ، ثم نفهم المعنى اللغوي لما فيه من أحكام وعقائد تشريعية.

---

[1]- بن علي محمد : سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي والليبرالي الغربي "دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق" ، رسالة دكتوراه " العلوم في الفلسفة " إشراف بومدين بوزيد، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة وهران السانيا ، 2013/2012م ، ص67.

[2]- ياقوت فرعوني: نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين ، المرجع السابق ، ص75.

وكذلك استمد أنسلم فكره اللاهوتي من أوغسطين في طبيعة براهين وجود الله فقد تشابه معه في جميع الأدلة " فقد رأى أنسلم ... أن الله هو الموجود الحق وأن ماهيته هي عين وجوده حيث يمكن تسميته بالماهية"[1] أو الوجود الكامل وكذلك عرف عنه النظرية الإشراقية التي تقول أن النفس تستقبل النور الإلهي لإدراك المعرفة العليا المتعلقة بالله ، وهذه النظرية استند إليها أنسلم كثيرا في أطروحاته اللاهوتية ، وبذلك تعد الأوغسطينية لها الأثر البالغ في فكر أنسلم الذي يعتمد أساسا على اللاهوت المؤسس على نور ومبادئ العقل ، التي يرى فيها المرشد الأول للمؤمن المسيحي الساعي وراء الحقيقة .

2- بلغ التأثير الأوغسطيني إلى حوالي القرن الثالث عشر مع **القديس بونافنتورا** الذي تعد أعماله مرجعية أوغسطينية بمعنى الكلمة ، حيث أن فلسفته سلاح حمله ضد التيار الأرسطي آنذاك وخاصة التوماويين وهم من اتبعوا **توما الاكويني** ، وان فلسفة بونافنتورا مشابهة لما عرف عنه أوغسطين في مبحث المعرفة بالذات ، الذي أسسه على مبدأ النفس وعلاقتها مع الله ، إذ رأى أن من يجهل حال نفسه يجهل الحقيقة ومن يجهل الحقيقة لا يعرف الله أبدا بمعنى آخر إن " معرفة الله هي الغاية النهائية للفلسفة لأنها المعرفة الوحيدة التي تحقق السعادة والخلاص في نظر بونافنتورا "[2] والتي شابه فيها كثيرا أوغسطين الذي أكد أن تعاسة الإنسان هي جهل الإنسان لله، كذلك عندما تكلم بونافنتورا عن الفضائل والأخلاق رأى أنها

---

[1]- المرجع السابق، ص83.

[2]- المرجع السابق ، ص 87.

مثل النور الإلهي تشرق على النفس الإنسانية، وهنا مماثلة للأوغسطينية وإدراك النفس لتلك الفضائل إدراك للحقيقة العليا .

إضافة إلى ذلك لما تكلم بونافنتورا عن علاقة الفلسفة بالوحي رجع إلى ما عرفه عن أوغسطين وبقي وفيا له وأكد على أن النور الأسمى الذي يبعثه الله في نفس الإنسان تساعده على معرفة الحقائق الخفية في الوحي الإلهي ، مستندا بالعقل لفهم المعاني اللغوية ، ومنه نقول أن بونافنتورا مثاليته اللاهوتية وجداله المبني على أساس الإشراق ، وإدراكه لمبحث المعرفة بالاستناد إلى الحقائق العليا من النور الإلهي ، وعلاقة الوحي بالعقل علاقة تماثل وترابط ، كل هذه أخذها بونافنتورا من الفلسفة الأوغسطينية .

3- استمرت التأويلات والقراءات الفلسفية الى الفترة المعاصرة حيث نجد هيدغر الذي يحدد مصطلح الأوغسطينية من خلال مدلولين من " من الناحية الفلسفية على أنها أفلاطونية ملونة بلون المسيحية موجهة ضد أرسطو ، ومن الناحية اللاهوتية هي تصور محدد لمذهب الخطيئة الأصلية والنعمة الإلهية (الإرادة الحرة والقدر)" [1] بمعنى أن أوغسطين فكره الفلسفي يميل إلى الجدل الأفلاطوني ، ولاهوته يمثل بدايات اللاهوت المسيحي في العصر الوسيط طبيعة هذا اللاهوت تقر بشيء أساسي وهو الخطيئة التي لابد من الخلاص منها ، وفلسفته

[1]- الحسين سحبان : القديس أوغسطين ، مجلة يتفكرون (فصلية) ، العدد 10 بعنوان :العدالة والديمقراطية ، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، بالمغرب ، سنة 2017 م ، ص364 ، نقلا عن:

- Heidegger Martin , phénoménologie de la vie , Religieuse ,tr,ft, Jean Greish, Paris , Gallimard , 2012 , page 178.

جامعة بين اللاهوت والناسوت ، بين الوحي والعقل وهذا كان له السند في حجاجه ودفاعه عن المسيحية .

أما الأوغسطينية وهم من درسوا فكر أوغسطين بعد موته من خلال التراث الفكري الذي خلفه ، وهم طائفة عرفت في جامعة باريس حوالي القرن الثالث عشر والذين استمدوا من فكره الممارسة الكهنوتية السليمة، والتصوف الرهباني ، وحركات التنسك والزهد.

ولكن هناك من تبنى فكر أوغسطين في هذه الفترة وما قبلها ، وأوله على أنه إما فكر معتدل ، وإما فكر يدعو إلى التطرف والعنف والتشدد لفكرة الخطيئة ، وتلك أدت إلى جدالات فكرية ألقت اللوم عليه ، ورأت التوجهات السلبية أنه أول من نظر لمحاكم التفتيش.

القراءات التي عرفت فيما بعد لفكر أوغسطين كانت قراءات لاهوتية دينية أحييت بناءه الفكري تحت اسم "أوغسطينية جديدة" لمعالجة الواقع الذي عرف "مرض العدمية والنسبية"[1] ومن جهة أخرى إلى قراءات فلسفية تقر بوجود فلسفة وجودية سابقة لأوانها من خلال معرفته لذاته بذاته ، وتناقش أنصار الأوغسطينية في الفترة المعاصرة هل يمكن استحداث واستلهام فكر القديس أوغسطين لصون الهوية في عالم يعرف الضلال الفكري والسياسي؟ وهل لاهوته يخدم الواقع الديني؟

---

[1]– الحسين سحبان : القديس أوغسطين ، مجلة يتفكرون (فصلية) ، العدد 10 بعنوان :العدالة والديمقراطية، المرجع السابق ص365.

[*]– جون مليبانك (john – milbnak) ولد عام 1952 م في لندن اهتم باللاهوت والعلوم الاجتماعية ، تأثره بأوغسطين من ناحية اهتمامه بالغير والتماس المحبة في الكنيسة ، ونادى بالتخلي عن العنف . ينظر:(حبيب هرمر : المدخل إلى اللاهوت السياسي، ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى ، (د.ط) ببغداد ، 2009م ، ص35.)

تعد القراءات المستحدثة التي اهتمت بتراث أوغسطين الفكري الدليل على أن فكره يمكن به معينة الأضرار وجملة من المشاكل التي تحيط بالدين المسيحي، وبالمجتمع عامة في الفترة المعاصرة، من خلال نظرته الإنسانية للنفس وطبيعة معايشتها لما حولها ، وسبيل خلاصها من الشرور، فقد قرأ له كل من هايدغر Martin Heidegge (1889– 1976م) و ديريداJacques Derrida (1930–2004م) و جون ميلبانك* ، البابا السادس عشر والذين جميعهم استلهموا منه السلطة السياسة ومصدرها والمثالية الدينية .

تعد القراءات باختلافها في الفترة المعاصرة لفكر أوغسطين مبنية على أسس مذهبية تخدم توجهات تلك المذاهب، والتي من بينها قراءة ديريدا وهايدغر اللذان درسا فكر أوغسطين دراسة تفكيكية ، حيث أن هيدغر قرأ النصوص الخاصة بأوغسطين قراءة مفاهيمية أفادته في كتابه "الكينونة والعدم" ، من خلال كتاب الاعترافات والذي إستلهم منه محاكمة أوغسطين لنفسه ، وعيشها في قلق واضطراب.

واستنادها في آخر المطاف على الله الذي رأى فيه الأمان والاستقرار ، وبذلك فأوغسطين على حسب رأي هيدغر " مثل جندي مسيحي يجاهد تحت لواء بولس في سبيل الإيمان ، مسلحا بدرع من الأمل وبخوذة من الإيمان"[2]، إذ إنه جعل كتاب الاعترافات تجربة ذاتية

---

*– جون ميلبانك (john – milbnak) ولد عام 1952 م في لندن اهتم باللاهوت والعلوم الاجتماعية ، تأثره بأوغسطين من ناحية اهتمامه بالغير وإلتماس المحبة في الكنيسة ، ونادى بالتخلي عن العنف . ينظر:(حبيب هرمر : المدخل إلى اللاهوت السياسي، ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى ، (د.ط) ببغداد ، 2009م ، ص35.)

[2]–المرجع السابق ، ص 365.

تعبر عن شخصية مسيحية مضطربة ملجأها إلا الله ، وبذلك يعد فكر أوغسطين يدعو إلى نسيان الذات وكينونتها وإتباع أمل الخلاص .

أما ديريدا فكان خلافا لهيدغر إذ أنه كتب كتابا مماثلا لكتاب أوغسطين " الاعترافات " وسماه "الاعذراف" وهو كلمة مركبة من اعتراف وإعذار أو الختان ، إنهما يتشابهان في بعض الجوانب فكلاهما عرف التجربة الروحية التي استمداها من أميهما ، وديريدا بعض كلمات مؤلفاته أخذها من كتاب أوغسطين " الاعترافات" ، إذ أنه عايش تجربة انتقالية دينية وعرف الفراغ الروحي الذي عرفه أوغسطين ، ولكن ديريدا كتاباته الإعترافية كانت ليست ندما أمام الله ، وإنما أمام المجهول وهو الغير .

4- تعد فلسفة أوغسطين فلسفة حياة بمعنى الكلمة، لأنه اهتم بالوجود الإنساني وبالتجارب الشخصية الساعية وراء السعادة الأبدية، إذ رأى أن الإنسان الصالح مثاله مثال صورة الله ، وبذلك جعل الإنسان في أرقى التصورات ، وأعطاه قيمة لا مثيل لها ، ورأى أن وحدة المسيحيين مع السيد المسيح ليست بعيدة ، ويمكن تحقيقها ، والإنسان له كرامته الخاصة ولا يجوز معاملته معاملة الحيوان ، ولا حتى نعته بأسماء لا تليق بكيانه.

بلغت فلسفة أوغسطين حالة من القلق الفكري والروحي حول معنى الإنسان ، فهو عبر عن حياته في كتابه " الاعترافات" وشغل اهتمامه حيزا كبيرا موضوع الذات وقلقه على المستقبل " ويعود أوغسطين ... إلى الوجود المتحقق والفعلي ، ويفتش عن الماهو للإنسان

فيحلل الشخصية البشرية ليجد أن كل ما يبحث عنه كل إنسان هو السعادة"[1] وهي مشكلة تراود الفكر البشري منذ القدم ، ونظرا للخطيئة التي تعد من اهمم اعرف به أوغسطين ، فقد رأى أن للإنسان قدرة على مراعاة جاب الخطيئة والسعي وراء الخلاص ، والأمل في العيش بسلام وسعادة بعيدا عن الشرور.

4- إن اهتمام أوغسطين بالوجود العيني وشخصية الإنسان وقدرته على الخلاص جعله ممن دعا إلى تجاوز الماضي وصناعة حياة سعيدة بعيدا عن المجون والذنوب ، وبذلك يعتبر أوغسطين احد متصوفة الغربيين الأوائل ، إذ تجاوز ما كان عليه وتاب ودعا من الله الغفران وتوسل إليه ، وجعل محبة الله أولوية عن كل شيء ، إذ لم يكن أبدا متشائما ولا أنانيا بل دافع عن المسيحيين والمسيحية ، ودائما ما كان يناجي الرب بصلواته ودعائه لخلاص الأمة والشيء الذي ميز صوفية أوغسطين " المثالية و التفاؤل" [2] اللذان هما سبيل للخلاص وتجاوز معاناة الإنسان فعليه أن يراجع بنفسه ويسعى وراء الخير والفضيلة، وأن يكون متفائلا بتغيير الواقع والمستقبل تحت عناية الله.

تعد فلسفة أوغسطين من بين الفلسفات التي حاولت التوفيق بين الدين والمجال السياسي وأظهرت مدى التوافق بين النزعة الروحية والعمل السلطوي داخل المجتمعات، والشيء الأساسي الذي يسعى إليه جميع البشر هو العيش في سعادة، والسعي وراء الخلاص.

---

[1] -علي زيعور : اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، المرجع السابق ، ص 260.

[2] - جونو وبوجوان: تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية ، المرجع السابق ، ص291.

شكل الدين في العصور الوسطى غالبا السلطة المركزية داخل المجتمعات التي اعتنقت الديانة المسيحية ، وتم ذلك بفعل استعمال آباء الكنائس للعامل النفسي والروحي للسيطرة على النفوس ، وقد تم لهم ذلك فقد عاشت أوروبا قرونا وهي تحت السلطة الدينية رغم أنها كانت تحت مضلة القياصرة وحكام الإمبراطوريات آنذاك .

أما قوة الدين السلطوية كانت في طبيعة الممارسات اللاهوتية والعقائدية، فلا يمكن لمؤمن مسيحي أن يصل إلى الإيمان الحقيقي إذ لم يتبع الحقائق والقوانين الكنسية والخضوع هنا يعد ضرورة ، وبخضوع الأغلبية تخضع العامة، وهكذا توالت انتصارات السلطة الدينية وتم إحكام القبضة على كامل أوروبا، وكان سلاح أباء الكنيسة الأول هو التبشير بالدين وردع الشكاك بالمواعظ ، وحتى بالقوة إن لزم الأمر، فكان القديس أوغسطين من بين الذين رسخوا الفكر اللاهوتي في الأمم الشمال الإفريقية وعمد إلى ذلك طوال حياته الرهبانية ، واستطاع بفعل التعاليم اللاهوتية التي تعتبر لقدسيتها أمرا لا يمكن النقاش فيه وهذا ما خدم أوغسطين طوال حياته الفكرية ، واستطاع من خلال أن يكون سياسيا مستخدما المفاهيم الدينية ، وحاول رد الاعتبار للدين المسيحي.

الخـــــــــــاتمة

خل ال هذا البحث والذي تطرقنا فيه لمسألة اللاهوت السياسي والتي تعد تركيبة بين اللاهوت والسياسة ، أو بمعنى أوضح بين معالم الدين المسيحي اللاهوتية وسياسة العصور الوسطى ، ولما تبنيا نموذجا مثل القديس أوغسطين الذي عرف بتعمقه في السياسة ، وتعدد مواقفه الفلسفية السياسية توصلنا إلى جملة من المؤشرات تخص فلسفته الدينية السياسية ضمن الواقع الذي عايشه ، إذ سعى إلى رد الاعتبار للديانة المسيحية ، وبذلك سخر كل ما لديه لخدمة الدين ، واعتمد على معارفه العقائدية والأخلاقية ، واستخدامه للاهوت كان لغرض رد الأباطيل عن المسيحية من جهة ، ومن جهة أخرى لتبرير سلطة الكنيسة ورجال دينها بحجة التفويض الإلهي ، وإن معارفه اللاهوتية أملت عليه ذلك ، وهذا عرف به كل أقرانه من قديسين وبابوات ، ولاهوته السياسي ارتكز على الثنائية التي عرف بها " مدينة الله ومدينة الشيطان " والتي دائما ما كان يرجع لها كحجة بالغة ، إذ يرى أن خلاص البشرية المؤمنة يكون إلا **بالتحكم في النفس** ، وكبحها عن الشهوات للوصول إلى السعادة الأبدية ، **وإتباع تعاليم الكنيسة وطاعة الحاكم** ، وبالخروج عن كل هؤلاء لن ينال أي مسيحي العيش في "مدينة الله" ولن يعرف **الخلاص** أبدا.

تعد هذه أهم النظريات السياسية التي عرف بها العصر الوسيط، قد يعد منطقها مثاليا لكنها استطاعت أن تلج إلى عقول المسيحيين آنذاك بفعل رابطها القوي الذي يجمعها وهو فكرة الخلاص ، التي تعد عقيدة دينية ساهمت إلى حد بعيد في استمرار سلطة الدين المسيحي مدة أطول عرفت فيها أوروبا أياما سوداء من الظلم والقهر.

قلب أوغسطين لمعالم الدين لمصالح الكنيسة ، واعتماده على أفكار ميتافيزيقية تشابه إلى حد كبير الفكر اليوناني الأفلاطوني، جعلته يطلق عليه الفيلسوف، لأنه جمع بين الحكمة اليونانية والمسيحية، والقديس لأنه استفاض في الدين كثيرا وندم على أخطاء ماضيه ونقول أنه جمع بين الفيلسوف السياسي ، والمتدين الورع ، وقد غلب عليه تدينه في آخر حياته، والبحث يكون أفضل في فلسفته الدينية قبل السياسية، لأنك قد تدرك لماذا نقول عنه فيلسوف ونحن نطلق عليه اسم القديس قبل ذلك ؟ ولكن هذا لا يعني أنه ليس بسياسي بل إنه عرف للعالم بكتابيه "مدينة الله" و "الإعترافات " اللذان جمعا بين الدين والفلسفة السياسية.

التأثير السياسي الديني الأوغسطيني لم يعرف كمدرسة بل عرف من خلال الفرقة الدينية التي كان ضمنها وهي الكاثوليكية الرومانية والتي اليوم لا تزال تتبع نواميس قداسها ومؤسسيها في العصور الوسطى، والدليل أن الكنائس الكاثوليكية في شمال إفريقيا مازالت تتبع الروحانيات الأوغسطينية، وتتفاعل مع التراث الفكري الأوغسطيني والبحوث التي درست فكر القديس أوغسطين أيضا دليل على أن أثره الفكري يعد مرجعية سياسية إلى اليوم، بل إن المسيحية الفاتيكانية تدرس فكر أباء الكنائس اللاتينيين إلى اليوم ومن بينهم أوغسطين وما تركه، وقد صنف لاهوته ضمن اللاهوتي الدفاعي وهو مرجعية لكل دارس للاهوت.

1- **الإشراق:** (illumination)

الإشراق في " اللغة الإضاءة والإنارة وهو في اصطلاح الحكماء هو ظهور الأنوار العقلية ولمعناها وفيضانها عن الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية"[1] وكذلك يعرف على أنه قذف الله لنور في قلب الإنسان، ترشده إليه.

2- **الإعتقاد:** (Croyance)

"هو كل تصديق لا يقبل التشكيك من دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أو منطقية وقد يستند إلى عوامل فردية، أو عواطف أو مصالح عملية نفعية ومستندا إلى مبادئ" [2].

3- **الإلهام:** (Inspiration)

"هو أن يلقي الله في النفس الإنسان أمرا يبعثه على فعل الشيء أو تركه، وهو أيضا ما وقع في القلب من العلم وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال"[3] .

4- **الإيمان المسيحي:** (foi chrétienne)

الإيمان المسيحي" يعني الثقة واليقين في عمل الله الخلاصي ، والتمتع بالاتحاد مع الأب في ابنه يسوع المسيح وبالروح القدس"[4].

الخلاص: (Salut)

---

[1]- معجم صليبا : المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 94

[2]- المرجع نفسه ، ص104.

[3]- المرجع نفسه، ص130.

[4] - تاردس يعقوب مالطي : معجم الكتاب المقدس للفتيان ، مكتبة الفتيان ، (د.ط) ، ص45 ، 1996م.

"كلمة الخلاص تشير أن تكون أو تبقى سليم معافى ، من وجهة نظر فيزيقية ، والخلاص يعني أن يصل إلى لحالة حياة تعتبر بوصفها مرغوبة ، وان عملية الإنقاذ التي تؤدي إلى هذه الحالة لكونها أنتشلت من وضعية أو تخلصت من خطر ، ويفهم الخلاص بوصف تخليص وتحرير واقتلاع من وضعية خطيرة ، والانتقال من حالة البؤس إلى وضع السعادة ، والمسيحية تقدم نموذجا لنمط هذا الفكر فالرجال يعيشون في بؤس وضعهم مدنيين ويسوع المنقذ يمدهم بالوسائل للخروج منه "[1]، والحصول على الحياة الأبدية.

المفهوم المسيحي للخلاص "ليس مجرد وصايا أو تعاليم بل هو نزول الله واتحادنا به فالمخلص هو الذي اتحد بنا ويسير معنا ورأى القديس أوغسطين " ان الخلاص هو عمل النعمة وحدها ويناله كل واحد بالإيمان"[2]

ثيوقراطية: (Théocratie)

"هذا الاصطلاح يعنى به قوة أو سلطان الله ، ويقال على النظام السياسي الذي يستند إلى سلطان إلهي"[3] .

---

[1]– فريديريك وورم : الفلسفة في 100 كلمة ، ترجمة محمد جديدي ، دار الأمان ، ط1 ، الرباط ، 2015م ، ص.ص 86– 87.

[2]– رودلف بني: الخلاص بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس ، مجلة الرسالة ، تصدر عن جمعية الدراسات القبطية ، العدد 7 بنيوجرزي أمريكا ، سبتمبر 1991م ، ص4.

[3]– مراد وهبة : المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط5، القاهرة ، 2007م، ص 231.

وحدة الوجود:(Panthéisme)

مذهب ينادي بأن الله والطبيعة كائن واحد " أي وحدة الجوهر الإلهي مع الطبيعة في جوهر واحد " [1] وهو بذلك ينفي صفة التعالي على الله.

الأوغسطينية: (Augustinisme)

هي جميع الأفكار التي تنسب إلى القديس أوغسطين واعتمد عليها من بعد " وهي جملة المواقف التي تبناها في حياته منها التوفيق بين المسيحية والأفلاطونية ، وإيمانه بالعقل وكذا الإشراق الذي يربط الله بعبده" [2]

الهرطقة: **(Hérétiques)**

هي الإشاعات والأكاذيب وهو مصطلح أطلق على " أصحاب البدع وممن اتهموا في المسيحية بالأباطيل"[3]

---

[1]- معن زيادة : الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الاتحاد العربي ، ط1 ، 1988م ، ص1017.

[2]- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرة ، (د.ط) القاهرة ، 1983م ، ص27.

[3]- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي ، ط3 ، القاهرة ، 2000م ، ص764.

قائمة المصادر والمراجـــــــــع

* الكتاب المقدس

1/ قائمة المصادر:

باللغة العربية:

1- القديس أوغسطين: الاعترافات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، الطبعة 4 لبنان ، 1991م.

2- القديس أوغسطين: موعظة على الجبل ، ترجمة القس بشرى كامل ، مطبعة الكرنك (د.ط) ، الإسكندرية ، 1962 م.

3- القديس أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو بدار المشرق ، ط7 ببيروت ، 2004م.

4- القديس أوغسطين ، مدينة الله ، المجلد (3-2-1)، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق، ط1، بيروت ، 2002م.

5- القديس أوغسطين ، محاورة الذات ، ترجمة الخوري يوحنا الحلو ، دار المشرق ، ط1 لبنان ، 2005م.

بالأجنبية:

1- Saint Augustin, Confessions, Introduction et commentaire par Jean-Claude Fraisse, 1ère édition, Bibliothèque philosophie, 1989.

2 - Saint Augustin, le maître, trad. F.J. Thonnard.in Dialogues philosophiques, Paris Descelée de Brouwer 1955.

2/ قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1- إتين جلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام مكتبة مدبولي ، ط3 ، مصر ، 1996م.

2- أحمد فؤاد الاهواني: أفلاطون ، دار المعارف ، ط 4، القاهرة ، (د.س).

3- أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، (د.ط) ، الإسكندرية 1975 م.

4- أفلوطين: التاسوعات ، ترجمة فريد جبر ، مراجعة جيرار جهامي و سميح دغيم ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، بيروت، (د.س)

5-أكليمنضس السكندري: المربي، دار فهلو باترون للترجمة والنشر، ط1، الإسكندرية 1995م.

6-امبروزيوس: سر تجسد الرب ، ترجمة ريمون يوسف ، بدلتا، ط1، الإسكندرية 2011 م.

7- أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون ، مكتبة الأسرة ، (د.ط) ، مصر ، 1994م.

8- أنمار احمد : اللاهوت المسيحي ، نشأته طبيعته ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ط1 ، سوريا ، 2010م.

9- بيتر كونزمان فرانز وآخرون : أطلس الفلسفة ، ترجمة جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ط2، 2007 م.

10- تاردس يعقوب المالطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى ، دير الشهيد العظيم ، ط1، الاسكندرية ، 2008م .

11- ترانتى وماركوس : مقالات في فلسفة العصور الوسطى ، ترجمة ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ، 1998م.

12- توماس هوبز : اللقياتان الأصول الطبيعية السياسية لسلطة الدولة ، ترجمة ديانا حبيب حرب ، دار كلمة ، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2011 م.

13- ثائر علي الحلاق: العناية الإلهية ومشكاة الشر في الفكر الفلسفي ، دار النور، ط1 دمشق ، 2014م.

14- جاريث –ب- ماثيوز : أوغسطين ، ترجمة أيمن فؤاد زهري ، المركز القومي للترجمة ط1، القاهرة ، 2013م.

15- جان توشار : تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط ، ترجمة ناجي الدراوشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، ط1، دمشق ، 2010م .

16-جمال الدين الشرقاوي: الكنيسة وأسرارها السبعة ، مكتبة وهبة ، ط1، القاهرة، 2008م.

17- جورج حبيب بيباوي: المدخل إلى اللاهوت الأرثوذكسي، موقع الدراسات القبطية (د.ط) ، مصر ، 2008م.

18- جورج اهرنبرغ : المجتمع المدني " التاريخ النقدي للفكرة " ترجمة علي حاكم صلاح وحسن ناظم ، المنظمة العربية للترجمة ، ط1، لبنان 2008م.

19- جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، الكتاب الثاني ، ترجمة جلال العروس، مراجعة فتح الله الخطيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، مصر ،(د.س) .

20- جونو وبوجوان : تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية ، ترجمة علي زيعور وعلي مقلد ، عز الدين للطباعة والنشر ، (د.ط) ، بيروت ، 1993م.

21- جيمس أنس: علم اللاهوت النظامي ، ترجمة منيس عبد النور، المكتبة الإنجيلية (د.ط) ، بالقاهرة (د.س).

22- حبيب هرمز: المدخل إلى اللاهوت السياسي، ديوان أوقاف المسيحيين والديانات الأخرى ، (د.ط) ببغداد ، 2009م.

23- حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي الديني في مدرسة الإسكندرية ، دار العلوم العربية ، ط1، لبنان ، 1992م.

24- حسن حنفي : نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط " أوغسطين أنسلم ، توما الإكويني " ، المكتبة الأنجلومصرية ، ط2، بالقاهرة ، 1979م.

25- حنانيا إلياس كساب: مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين المسيحية الجامعة ، منشورات النور ، ط1، لبنان ، 1998م.

26- حنا الفاخوري وآخرون : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة ، منشورات المكتبة البوليسية ، ط1، مصر ، 2001م.

27- رأفت الشيخ : تفسير مسار التاريخ " نظريات في فلسفة التاريخ" عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (د.ط) ، 2000م.

28- رسل برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية "الفلسفة الكاثوليكية" الكتاب 2، ترجمة زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط) ، القاهرة ، 2010م.

29- رسل برتراند: حكمة الغرب ، ج1، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي ، ترجمة فؤاد زكرياء ، دار علم للمعرفة ، (د.ط) ، الكويت ، 1983م.

30- روي هاريس وتولبت جي تيلر: أعلام الفكر اللغوي التقليد الغربي من سقراط إلى دسوسير ،ج1 ، ترجمة احمد شاكر، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، بيروت ،2004 م.

31-ريتشارد تارناس : آلام العقل الغربي التي قامت بصياغة نظرتنا الى العالم ، ترجمة فاضل جكتر، دار العبيكان والكلمة ، ط1، السعودية ، 2010م.

32-زينب محمود الخضيري : لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، القاهرة ، 1997م.

33- سلامة موسى: حرية الأفكار بأبطالها في التاريخ ، إدارة هلال ، (د.ط) ، مصر .

34- شارل جينير: المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية ، (د.ط) لبنان .

35- عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، دار ابن حزم ، ط1، القاهرة ، 2012 م.

36- عامر عبد زيد: التأويل اللاهوتي للتاريخ عند القديس أوغسطين من كتاب فلسفة التاريخ " جدل البداية والنهاية والعود الدائم " تأليف مجموعة أكاديميين ، إشراف علي عبود المحمداوي، دار الروافد الثقافية ، ط1، لبنان ، 2012م.

37- عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت 1989 م.

38- عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون ، ذات السلاسل بجامعة الكويت ، (د.ط) الكويت ، 1993 م.

39- علي زيعور: اوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ، دار إقرأ ،ط1، لبنان ، 1983م.

40- غنار سكيربك و نلز غيلجي : تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين ، ترجمة حيدر حاج إسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، ط3، لبنان ، 2012م.

41- غوريغوريوس النزينزي: في اللاهوت ، ترجمة القمص مرقوريوس الأنبا بيشوى ، كتب النسر للطباعة ، ط1، 2008م.

42- فراس السواح: دين الإنسان "بحث في ماهية الدين ونشأة الدافع الديني " ، منشورات دار علاء الدين ، ط4، سوريا، 2002م.

43- ليو شتراوس وجوزيف كوربسى : تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديديس حتى اسبنوزا ترجمة محمد سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الأعلى للثقافة،(د.ط) مصر ، 2005م.

44- ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس 585ق.م إلى أفلوطين 270م وبرفلس485م ، دار العلم للملايين ، ط1، لبنان، 1991م.

45- ماهر عبد القادر محمد، حربي عباس عطيتو: دراسات في فلسفة العصور الوسطى دار المعرفة الجامعية، (د.ط) ، مصر، 2000م.

46- محمد وقيع الله أحمد: مدخل إلى الفلسفة السياسية " رؤية إسلامية " دار الفكر، ط1 دمشق ، 2010م.

47- محمد عبد الرحمان مرحبا : مع الفلسفة اليونانية ، منشورات عويدات ، ط3، بيروت 1988م.

48- مصطفى النشار: مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية دار المعارف، ط1، بالقاهرة ، 1995م.

49- موريس تاوضروس: علم اللاهوت العقيدي، ج1، دار الجبل للطباعة ، ط1، مصر 1994م.

50-ميخائيل مينا: علم اللاهوت ، مجلد1، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية ، (د.ط) القاهرة .

51- هنري تشادويك: اوغسطينوس مقدمة صغيرة ، ترجمة أحمد محمد الروبي ، مراجعة هاني فتحي، دار هنداوي للتعليم والثقافة ، ط1، 2016م.

52- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، (د.ط) ، مصر 2012م.

53- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (د.ط)، مصر ، 2014م.

باللغة الأجنبية:

1- B. Romeyer, la philosophie chrétienne jusqu'à Descartes, des alexandrins à la mort de Saint Augustin,1ére édition, librairie Bloud Gay, 1937.

2- Claude Laurin, pour saint Augustin, Paris, édition grasset et fasquelle .1988.

3- Claude-Henry du Bord , Le grande livre de la Philosophie Histoire des idées en Occident, Groupe Eyrolles, paris ,2016.

4- Ernest Renan , vie de jésus , Michel Lévy Frères, librairieséditeurs 9, Paris , 1863.

5- Heidegger Martin , phénoménologie de la vie , Religieuse ,tr,ft, Jean Greish, Paris , Gallimard , 2012.

6- S. ÈM –Gousset le Cardinal Théologie Dogmatique, Librairie Victor Le coffre, Édition, paris, 1884.

3- قائمة المعاجم والموسوعات:

1/ المعاجم:

1- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرة ، (د.ط) القاهرة 1983م.

2- تاردس يعقوب مالطي: معجم الكتاب المقدس للفتيان ، مكتبة الفتيان، (د.ط)، 1996م.

3- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)، لبنان، 1982م.

4- فريديريك وورم : الفلسفة في 100 كلمة ، ترجمة محمد جديدي ، دار الأمان ، ط1 ، الرباط ، 2015م.

5- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط5، القاهرة 2007م.

2/ الموسوعات:

1- روزنتال بودين وآخرون: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (د.ط) ، بيروت.

2- عبد الرحمان حسين الطعان: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر ، 2015م.

3- عبد الرضا حسين الطعان وآخرون: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، دار الروافد ط1 ، لبنان ، 2015م.

4- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 بيروت ، 1984م.

5- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة 2000م.

6- كامل سعفان: موسوعة الأديان القديمة معتقدات آسيوية، دار الندى ، ط1، مصر 1999م.

7- لالاند اندريه: موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد1 ، ترجمة خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، ط2، بيروت ، 2001م.

8- معن زيادة : الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الاتحاد العربي ، ط1 ، 1988م .

9- M. Rosentahl et P. Ioudine , Petit dictionnaire Philosophique , à l'édition abrégée du texte russe publié par les Editions politiques d'Etat , Moscou, 1955.

4- قائمة المجلات العلمية والدروس:

1- htt://arabicthirdmill.org

الدرس الثاني (محاضرة ورقية) استكشاف اللاهوت المسيحي ترجمة البستاني - قاندايك خدمات الألفية الثالثة تعليم كتابي للعالم.

2- الحسين سحبان: القديس أوغسطين ، مجلة يتفكرون (فصلية) ، العدد 10 بعنوان (العدالة والديمقراطية) ، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب 2017م.

3- رودلف بني: الخلاص بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس ، مجلة الرسالة ، تصدر عن جمعية الدراسات القبطية ، العدد 7 ، نيوجرزي أمريكا ، سبتمبر 1991م.

4- عفيان محمد: نظرية الدولة عند القديس أوغسطين بين أوهام المدينة الأرضية وشروط النهضة الروحية ، مجلة متون ، العدد11-12، تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة سعيدة ، الجزائر ، دار القدس العربي ، وهران ، أفريل 2016م.

5- عفيان محمد: الدولة بين الناسوت واللاهوت (القديس أوغسطين نموذجا) ، مجلة تطوير العدد2 ، تصدر عن مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، بجامعة سعيدة ، منشورات الحمراء للنشر والتوزيع ، بلعباس ، الجزائر ، سبتمبر 2015م.

6- غسان سليم عرنوس : القيود على السلطة في ظل النظريات النسبية دراسة مقارنة بين النظريات الثيوقراطية والشريعة الإسلامية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 27 ، العدد 3 ، كلية الحقوق ، بجامعة دمشق ، 2011م.

7- موسى معيرش: مشكلات القيم في فلسفة أوغسطين ، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية ، مجلة فصلية ، يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، العدد16 ربيع 2016م.

8- هنري شادويك : أوغسطين الخلق الإلهي والثالوث المقدس ، ترجمة صالح المرزوق صحيفة المثقف ، تصدر عن مؤسسة المثقف ، نشرت بتاريخ 29 ديسمبر 2009م.

5- قائمة المذكرات العلمية:

1- بلعابد مريم : المدينة عند القديس أوغسطين " دراسة مقارنة بين المدينة السماوية والمدينة الأرضية" ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة عامة ،إشراف عفيان محمد، جامعة مولاي الطاهر بسعيدة ، الجزائر ، الموسم الجامعي2015/2014م.

2- بن علي محمد: سؤال الإنسان في الفكر الغربي الإسلامي والليبرالي الغربي " دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق" رسالة دكتوراه ، العلوم في الفلسفة، إشراف بومدين بوزيد، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة وهران ، السانيا ، 2013/2012م.

3- ياقوت فرعوني: نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير فلسفة مسيحية ، بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية ، إشراف عمار الطالبي ، بوزريعة ، الجزائر ، الموسم 2006/2005م.